بتوع الأفلام

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: بتوع الأفلام**
- **المؤلف: محمد شريف**
- **نوع العمل: مقالات**
- **الطبعة الأولى 1441 هـ - 2020 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**
  بوك بوتيك للنشر والتوزيع - مصر

- **رقم الإيداع : 2020 / 13408**
- **الترقيم الدولي ISBN : 9789776808577**
- **الرقم الكودي: bb47**
- الغلاف: فريق تصميم بوك بوتيك
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد بوك بوتيك
- المدير العام: جمال سليمان - ديانا حمزة
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201001201153
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: fb.com/bibliomania.eg/ & fb.com/bookboutique.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com www.bookboutique.net &

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

بتوع الأفلام

مقالات

محمد شريف

www.bbibliomania.com
www.bookboutique.net

2020

أحمد زكي وعادل إمام

رغم النجاح الساحق الذي حققه الفنان الكبير عادل إمام، وتربعه على عرش إيرادات السينما لسنوات طويلة، فإن بعض عاشقيه يطمحون إلى المزيد من التفوق لنَجمهم الذي لقبوه بالزعيم. فنجدهم من وقت لآخر، بمناسبة وبدون مناسبة، يصدعون رؤوسنا بمقارنة غير منطقية بين زعيمهم والفنان الراحل أحمد زكي.

والسؤال الذي يطرح نفسه وأطرحه على "دراويش" الزعيم: "ما وجه المقارنة بين عادل إمام وأحمد زكي؟!"

إذا حاولنا أن نعقِد مقارنة بين النَجمين الكبيرين، فسنبدؤها بالتصنيف، لنجد أن عادل إمام مُصَنَّف كممثل كوميدي، في حين أن الراحل أحمد زكي كان ممثلًا خارج التصنيف، قدم أفلامًا كوميدية، مثل: ولاد الإيه، وأفلام أكشن، مثل: الإمبراطور، والباشا، وظهر لنا في

أدوار رومانسية كعاشق ولهان، مثل: دور (متولي) الذي جسده في إحدى حلقات مسلسل (هو وهي) أمام الراحلة سعاد حسني، ودور (علي) في فيلم (الحب فوق هضبة الهرم) وغيرها من الأدوار والأنواع التي جسدها باحترافية وأقنعنا بأدائه.

وإذا كان عادل إمام قَدَّم أفلامًا غير كوميدية، فهي أفلام قليلة جدًا لم تكن كافية لتعفيه من تصنيفه كممثل كوميدي.

وبعيدًا عن التصنيف، فموهبة الممثل تَظهَر جلية بمفاجآته للجُمهور، وهي النقطة التي امتاز بها أحمد زكي كثيرًا. فعندما نتأمل تكوينه الفسيولوجي (الشكل والجسم) في بداياته، سنجد أمامنا شابًا أسمر، نحيفًا، أكرت الشعر، لا يوصَف بالوسامة، وهو بالطبع ما يقيده بنوعية معينة من الأدوار التي تمَرَّد عليها، فظهر لنا كشاب رومانسي في أكثر من عمل، ورجل "فلاتي" في فيلم (إمرأة واحدة لا تكفي)، وعشوائي مجرم في (أحلام هند وكاميليا)، وغيرها من الأدوار التي فاجأنا بها، ليس فقط لأننا لم نكن نتخيله فيها، ولكن لأنه أقنعنا بها تمامًا، فرأيناه منافسًا قويًا لجميع أبطال السينما الذين سبقوه والذين عاصروه.

وعن مفاجآت عادل إمام لجمهوره، يكفي أن نتذكر فشل فيلم "الحريف" والقطيعة التي حدثت بعده بين المخرج محمد خان والفنان الكبير الذي شعر بالندم لأنه لم (يلعب في المضمون).

وإن كان عادل إمام قدم أفلام أكشن لا تناسب تكوينه الجسماني، فعن نفسي، أعتبرها مفاجآت غير سارة؛ لأن تلك الأدوار لم تكن تناسبه ولم تكن ستلقى رواجًا لدى الجمهور، إذا كان أكثر وعيًا ولديه بدائل أكثر.

في الحقيقة، أرى المقارنة بين أحمد زكي وعادل إمام تنطوي على ظلم فاحش للأخير، وإن أردنا أن نعقد مقارنة بين أحمد زكي وغيره من الفنانين، فأعتقد أن الفنان الراحل محمود عبد العزيز هو أفضل من ينافس أحمد زكي، وهنا سأتحدث أيضًا عن المفاجآت التي فاجأ بها

(عبد العزيز) جمهوره وهو الشاب الإسكندراني الوسيم الذي قدم أدوارًا أبعد ما تكون عن شخصيته، فشاهدناه في دور سائق التاكسي الشعبي في فيلم (الدنيا على جناح يمامة)، ودور الكفيف في (الكيت كات)، ودور الشاب المصري الخائن في (إعدام ميت) في نفس الفترة التي قدم فيها مسلسله الخالد (رأفت الهجان).

في النهاية أقول لدراويش الزعيم عادل إمام: لا تظلموا زعيمكم بمقارنة هو ليس أهل لها، يكفيه النجاح الساحق الذي حققه في شباك التذاكر.

حملة فرعون

لا يخفى على الكثيرين أن فيلم (حملة فرعون) هو نسخة جديدة من فيلم (شمس الزناتي) الذي أُنتِج عام ١٩٩١، والمأخوذ أصلًا عن الفيلم الأمريكي الكلاسيكي (العظماء السبعة ١٩٦٠) المأخوذ عن الفيلم الياباني (الساموراي السبعة) الذي عُرِض عام ١٩٥٤.

ولكن شتان ما بين فيلم يخرجه سمير سيف، ويقوم ببطولته مجموعة من الممثلين المتميزين، أمثال محمود الجندي ومصطفى متولي وأحمد ماهر وإبراهيم نصر، وبين فيلم ينتجه السبكي ويخرجه رؤوف عبد العزيز ويقوم ببطولته عمرو سعد الذي لم تكن شتائمه

لصديقه أرجنتيني (محمد لطفي) وحبيبته القديمة ريهام (روبي) كافية لأن تجعل منه بطلًا ملهمًا كما هو مفترض في هذا الدور.

رغم ضعف مشاهد (الأكشن) في فيلم شمس الزناتي الذي قام ببطولته ممثل لا يصلح أصلًا لتقديم أفلام أكشن (عادل إمام)، فإن الفيلم كان ولا يزال يحمل نكهة مميزة، ربما بسبب الإخراج المتميز للمخرج الراحل سمير سيف، أو أداء الممثلين الذين قدموا (كاراكترات) مميزة (سبرتو والطفشان وجعيدي)، أو بسبب موسيقى هاني شنودة، أو السيناريو الذي كتبه مجدي هداية وحاول أن يصنع منه فيلمًا مصريًا خالصًا.

في اعتقادي أن تلك العوامل مجتمعة هي التي تعطي الفيلم مذاقًا مميزًا، وهو المذاق الذي لم نشعر به في فيلم (حملة فرعون) الذي تكلف إنتاجه ملايين الجنيهات، وآلاف الدولارات، واستعان منتجه بنجوم عالميين (الملاكم الشهير مايك تايسون، وهافبور جوليوس جورنسون أحد أبطال مسلسل لعبة العروش)، بالإضافة إلى لاعب كمال الأجسام المصري العالمي بيج رامي، والمصارع كرم جابر الذي كان يتحدث برقة شديدة لا تتناسب مع حجم عضلاته.

أثبت لنا المنتج محمد السبكي أن الإنفاق ببذخ لا يصنع فيلمًا جيدًا، ما لم يقدمه فنانون لديهم خبرة وحس فني عالي.

من المؤكد أن عمرو سعد حاول أن يقدم دورًا جيدًا في الفيلم الذي يلعب بطولته، ولكنه اكتفى – كما يبدو - ببعض تدريبات اللياقة البدنية وتغليظ صوته في بعض المشاهد مع توجيه بعض الشتائم لروبي كـ (روح أمك) معتقدًا أن ذلك كافٍ لنجاحه في الفيلم، فقدم أداءً باهتًا ربما يكون الأسوأ في مسيرته.. فلا يوجد أسوأ من ذلك.

ويبدو أن مخرج الفيلم كان يفكر مثل عمرو سعد، فاعتقد أن تصوير بعض اللقطات الخارجية التي تُظهر جمال الطبيعة، مع مشاهد الأكشن الكثيرة، سيكون كافيًا للحصول على فيلم جيد، فاعتمد على مصمم معارك وخبير متفجرات وأسلحة، ونسى أن يدرب الممثلين على أدوارهم.

وإن كان صناع الفيلم اعتمدوا في نجاحه على تقديم مشاهد أكشن احترافية، فإنهم فشلوا في ذلك أيضًا، حتى مع وجود رامز أمير الذي قدم لنا عرضًا مُبهِرًا من القفزات التي أتقنها بعد خضوعه لتمرينات في رياضة الباركور - حسب ما أعتقد.

بماذا تفيد مشاهد الأكشن، ومشاهد الـ slow motion في فيلم ليس به (روح)؟ فيلم لم يدرك صانعوه أن السينما تدور في الأصل حول الإنسان الذي ظهر في (حملة فرعون) مجوفًا بلا ملامح داخلية أو خارجية.

الكوميديا في زمن "السوشيال ميديا"

ما زلت أفتقد حالة الصخب التي أحدثها فيلم "صعيدي في الجامعة الأمريكية" عام ١٩٩٨، والأفلام التي أُنتِجَت بعده (همام في أمستردام، عبود ع الحدود، الناظر، مافيا، وغيرها من الأفلام) التي كنا نصِف نجاحها بعبارة (الفيلم كسر الدنيا).

بدأت حالة الصخب بأول فيلم من بطولة نجم الجيل محمد هنيدي (صعيدي في الجامعة الأمريكية)، وهو الفيلم الذي شَجَّع منتجي السينما على إنتاج أفلام من بطولة الشباب الجُدد، بعدما انهارت صناعة السينما على أيدي عواجيزها، وعلى رأسهم عادل إمام، وتردى مستوى الأفلام ودور العرض وانخفض عدد الأفلام في صناعة يقول عنها صناعها إنها من أهم الصناعات في مصر.

وعاد الجمهور إلى السينما، وأصبحت العائلات تشاهد الأفلام دون حرج بعد ظهور منافسين لعادل إمام الذي اشتهر بتقديم مشاهد جنسية بشكل مُقزِز.

وعندما عاد الجمهور للسينما، تحمس المنتجون والموزعون وطوروا من مستوى الصناعة وأصبحنا نشاهد أفلامًا صورتها جيدة ونجلس في قاعات عرض محترمة، وظهرت وجوه جديدة بدلًا من تلك الوجوه التي أهملت في حق نفسها وفي حق جمهورها الذي هجرها بعدما فقد الأمل فيها.

حالة رواج صاخبة بدأت بعد أول بطولة لهنيدي واستمرت لعدد من السنوات أذكر أنه خلالها كنا نُقبل على مشاهدة الأفلام التي كان معظمها كوميديًا، ونتبادلها على أجهزة الكمبيوتر، ونضحك على (الإيفيهات) ونحفظها ونمازح بعضنا البعض بها.

وبدأت حالة الصخب تخفت تدريجيًا ولم نعد نرى أو نسمع عبارة (الفيلم كسر الدنيا)، رغم أن هناك أفلامًا كسرت إيراداتها حاجز الـ٥٠ مليون جنيه، بل والمائة مليون جنيهًا.

أفلام حققت نجاحًا كبيرًا، ولكنها (ما كسرتش الدنيا)، فهناك حالة من الفتور لدى جمهور أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي جزءًا أساسيًا في حياته.

اقتحام مواقع التواصل الاجتماعي لحياتنا أثر في نمط تلك الحياة التي كانت الأفلام السينمائية من أهم وسائل التسلية فيها، وكنا نرى الفنانين كنجوم في السماء يصعب الوصل إليها،

فأصبحنا حاليًا نراهم بجانبنا على مواقع التواصل الاجتماعي ونتحدث معهم من خلال خاصية التعليقات، حتى لو لم يردوا علينا. فقد النجم بريقه وهو الموجود دائمًا معنا على مواقع التواصل الاجتماعي التي تحقق صفحات (الكوميكس) عليها نجاحًا أكثر من أي صفحة تُقَدِّم نشاطًا مختلفًا. وأصبح الجمهور يضحك وهو في مكانه (في البيت، في المواصلات، في العمل، على المقهى)، وبدون دفع مقابل الضحك أو الركوض خلفه.

ومع وجود الضحك المجاني وتنوع أساليبه على (السوشيال ميديا) أصبح صناع الكوميديا مُطالَبين بمستوى أعلى بكثير مما هو متوافِر على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي لكي ينجحوا في جذب الجمهور إليهم.

ومن وقت لآخر، أسأل نفسي:

ماذا لو كان فيلم (صعيدي في الجامعة الأمريكية)، مثلًا، طُرِح في دور العرض السينمائي في زمن (السوشيال ميديا)، هل كان سيُحَقِق نفس النجاح؟ هل كان الجمهور سيراه فيلمًا كوميديًا كما رآه عام ١٩٩٨ أم كان سيراه فيلمًا من نوعية (اللايت كوميدي)؟

صُنَّاع السينما أصبحوا في مأزق، فبعد أن كانوا يَهدِفون إلى منافسة التليفزيون، ظهر لهم منافس آخر، ربما يكون أقوى.. ظهرت لهم مواقع الكوميكس، المعروفة بـ (مواقع التواصل الاجتماعي).

محمود حميدة

"أيوه أنا مغرور"..

إجابة غير تقليدية من الفنان الكبير محمود حميدة، عندما أقر بشكل صريح أنه إنسان مغرور، على عكس الإجابات الشائعة التي يحرص عليها معظم الفنانين الذين يظهرون في البرامج التليفزيونية ويؤكدون للجمهور أنهم متواضعون لأقصى درجة.

اعتبر البعض إجابة "حميدة" غير التقليدية، زلة لسان، وربما مزاحًا، وذلك بعدما ظهر في برنامج "قصر الكلام" مع المذيعة وفاء الكيلاني على قناة إم بي سي مصر، عام ٢٠١٣، إلا أنه ظهر في برنامج "١٠٠ سؤال" على قناة الحياة عام ٢٠١٦، وأكد صفة الغرور التي يتصف بها، عندما قال إنه لا يشرفه ولا يسعده تشبيهه بالنجم العالمي روبرت دي نيرو.

كما ظهر في برنامج "أنا وأنا" على قناة ON الفضائية في شهر أبريل عام

٢٠١٧ وأعاد كلامه ووصف نفسه مجددًا بالغرور، وهو ما جعل تلك الصفة تلتصق به.

وعلى الرغم من أن تعالي الفنان يكون سببًا في عزوف الجمهور عنه، فإن الأمر مع محمود حميدة كان مختلفًا، لأكثر من سبب:

١ – عندما وصف محمود حميدة نفسه بالغرور مع وفاء الكيلاني، فإنه أوضح أنه يقول ذلك؛ لأن والدته هي التي قالت له أكثر من مرة: "إنت مغرور". وهو الأمر الذي جعله يعرف تلك الصفة عن نفسه باعتبار أن والدته والآخرين يرونه أفضل مما يرى هو نفسه.

إجابة الفنان الكبير فيها احترام كبير لآراء الآخرين فيه، وتُعَبِّر عن شخص يمكن أن نصفه بأنه (ديمقراطي) لا يقول رأيه في آراء الآخرين.

٢ – الإجابة الصادمة من الفنان الكبير أثارت إعجاب الكثيرين؛ لأنها مختلفة عن الإجابات الشائعة، وربما كان الجمهور بحاجة لمن يتحدث بصراحة وسط عالم مليء بالكذب والنفاق، حتى لو كانت صراحته صادمة.

٣ – مواقف محمود حميدة النبيلة كثيرة، فيكفي أن نذكر له موقفه الشجاع، بعد ثورة ٢٥ يناير، عندما وصف من تجاوزت أعمارهم الخمسين عامًا بأنهم "فاسدون بالضرورة"، وهي الإجابة التي مَثَّلَت دعمًا كبيرًا لجيل الشباب، وربما أنصفته أمام الأجيال السابقة التي تراه دائمًا مستهترًا لا يستطيع تحمل المسؤولية.
٤ – الروح المرحة التي يتمتع بها "حميدة" وبساطته في التعبير عن نفسه وثقافته الواسعة وقدرته على الوصول بسهولة لمن يتحدث معهم، كل تلك الأمور أزالت حواجز منيعة بينه وبين جيل الشباب الذين رأوا فيه صورة الأب المتفاهِم المؤمن بحرية الأبناء وكرامتهم.
٥ – الموهبة الفذة التي يتمتع بها النَجم الكبير والأدوار المتميزة التي قَدَّمها، أكسبته احترام عاشقي الفن، وجعلت لديه رصيدًا من الحب عند الجمهور، فكان من السهل عليهم أن يتقبلوا منه هذا الوصف لنفسه، حتى لو على سبيل اعتباره "سيئة" وسط حسنات كثيرة.

لهذه الأسباب، فإن الفنان الكبير محمود حميدة يحظى باحترام الكثيرين، قبل حبهم له كممثل متميز وصف نفسه بمنتهى التواضع بأنه صانع ترفيه وظيفته أن يقدم أعمالًا فنية تهدف لتسلية الجمهور، ولم يقدم نفسه كمصلح اجتماعي، كما يفعل بعض الفنانين.

اضحك الصورة تطلع حلوة

أذكر تلك الفترة التي عُرِض فيها الإعلان الدعائي لفيلم "اضحك الصورة تطلع حلوة" على شاشة التليفزيون عام ١٩٩٨، وهو الإعلان الذي تضَمَّن بعض اللقطات الجاذبة للجمهور، كلقطة من المشهد الذي يصفف فيه المصور سيد غريب (أحمد زكي) شعر أحد زبائنه قبل تصويره؛ ليكتشف أنه يرتدي شعرًا مستعارًا (باروكة). ولقطة أخرى تقول فيها نوسة (ليلى علوي) لسيد غريب: "أنا ست محترمة وحاجة ٧ مرات، ٦ مرات فيهم طلعت أنشل لكن السابعة لأ". بالإضافة إلى اللقطة الطريفة التي يقفز فيها سيد غريب بملابسه في حمام السباحة مع ضيوف الحفلة لكي يلتقط مفتاح السيارة ويفوز بها.

اتسم الإعلان بخفة دم واضحة، وأذكر أنه كان يُعرض على شاشة التليفزيون كثيرًا، ومع ذلك، لم يحقق الفيلم أرباحًا تليق به وقت عرضه في دور العرض، إلا أنه وبعد عرضه على شاشة التليفزيون، وبمرور الوقت، اكتسب مكانة كبيرة لدى الجمهور الذي اكتشف حالة فنية مميزة يقودها المخرج الكبير شريف عرفة وهو يترجم كلمات السيناريست وحيد حامد لمشاهد سينمائية من بطولة النجم الراحل أحمد زكي ومعه الفنانة الكبيرة ليلى علوي التي قدمت دورًا من أفضل أدوارها، هذا بالإضافة إلى النجمة الكبيرة سناء جميل – رحمها الله – التي قدمت دور الأم باقتدار شديد جعلها تنافس أحمد زكي وهو النجم العبقري الذي من الصعب منافسته.

يحكي الفيلم عن سيد غريب، المصور الفوتوغرافي البسيط، وعلاقته بأمه وابنته تهاني (منى زكي) التي تدخل كلية الطب وترتبط عاطفيًا بزميلها الثري طارق (كريم عبد العزيز) الذي ظهر شابًا متفوقًا جادًا في علاقته بزميلته – على غير المعتاد – في حين يرتبط سيد بنوسة، النشالة التائبة، التي تمتلك كشكًا بسيطًا لبيع الحلويات والمرطبات (الحاجة الساقعة). وتظهر علاقتهم نقية لا مجال فيها للخداع أو الاستغلال وتباركها سناء جميل التي ظهرت في دور الأم المصرية الحقيقية كما هي في معظم البيوت المصرية.

حالة من الطيبة والبساطة في العلاقات بين مجموعة من الأشخاص العاديين ترجمها المخرج شريف عرفة بخفة ورشاقة فنية تجعل مَن

يشاهد الفيلم، يشعر بسلام نفسي ويتمنى لو قابل هؤلاء الأشخاص وعاش معهم، إن لم يكن قابلهم في حياته بالفعل.

حكاية الفيلم البسيطة لم تكن بحاجة إلى ما يسمى (بهلوانيات السينما)، سواء موسيقى تصويرية صاخبة أو حزينة بشكل مبالغ فيه، أو حركة كاميرا مفرطة، أو انفعالات شديدة من الممثلين سواء في أوقات السعادة أو أوقات الحزن، بالإضافة إلى خلو الفيلم من المشاهد الجنسية التي كانت من الممكن أن تفسد تلك الحالة الرومانسية الهادئة البعيدة عن الصخب.

وإذا كانت تلك الحالة شديدة الإنسانية، لم تنجح في جذب الجمهور وقت عرض الفيلم في دور العرض السينمائية، فإنها قد نجحت فيما هو أهم.. نجحت في أن تعيش مع الجمهور كما هو الحال مع الأفلام الجيدة التي لا يمكن الحكم على مدى جودتها بإيرادات شباك التذاكر أو الجوائز.. بل تُترك للزمن لكي يقول رأيه فيها.. فإن عاشت مع الجمهور، فإنها أفلام جيدة وإن لم يتذكرها أحد، فلم يكن هناك داعٍ لتقديمها.

فيلم "اضحك الصورة تطلع حلوة" أظهر لنا الإنسان بمشاعره - التي قد تكون متناقضة أحيانًا، ولكنها صادقة - بعيدًا عن بهلوانيات السينما الخادعة.. وهذا هو جوهر السينما.. الإنسان.. الإنسان الذي إذا تم التعبير عنه بشكل صحيح، فإن الفيلم يصل إلى الجمهور ويعيش معه ويتأثر به ويخلده في تاريخ السينما.

سونيا

سونيا ..

ماذا يعني لك هذا الاسم؟ وما الذي يخطر ببالك عندما تسمعه أو تقرؤه في أي مكان؟ هل تشعر بالارتياح تجاه ذلك الاسم؟

أعتقد أن معظم الإجابات على تلك الأسئلة ستكون متشابهة، فأي متابع للأعمال الفنية المصرية، سواء أفلام أو مسلسلات، سيخطر بباله – فور سماعه للاسم - تلك المرأة سيئة السلوك التي تعمل، إما راقصة شرقية في ملهى ليلي، وإما سكرتيرة مثيرة لرجل أعمال ثري، يخون زوجته معها.

تلك هي الصورة النمطية لأي أنثى تحمل اسم "سونيا"، وهي الصورة التي شاهدناها كثيرًا في أفلام ومسلسلات مصرية، خصوصًا في فترة الثمانينيات، فأصبحنا بسبب تكرار تلك الصورة، نشعر بالقلق والريبة بمجرد سماعنا أو قراءتنا لهذا الاسم.

تكرار هذه الصورة النمطية جعل مؤلفي الأفلام والمسلسلات يستسهلون - كعادتهم - ويستخدمون الاسم بنفس الطريقة، فبمجرد أن تظهر شخصية الراقصة الشرقية، أو السكرتيرة اللعوب في قصتهم، يطلقون عليها اسم "سونيا" الذي أصبح "علامة مسجلة" للانحراف. وهو ما أدى بدوره إلى التصاق السمعة السيئة بهذا الاسم أكثر.

الأمر لا يقتصر على اسم "سونيا" فقط، فالصورة النمطية المكررة ظهرت أيضًا مع رجال الأعمال والأثرياء، فقد اعتدنا أن نراهم في قوالب ثابتة، نادرًا ما تتغير.

الرجل الثري يجب أن يكون فاسدًا، وجمع ثروته الطائلة من أعمال غير مشروعة، وليس ذلك فقط، يجب أن يكون مصابًا بالضعف الجنسي ولا يستطيع إشباع رغبة زوجته التي تضطر إلى خيانته مع شخص فقير يتمتع بفحولة جنسية هائلة. بالإضافة إلى أن ابن الرجل الثري منحرف ومدمن مخدرات، أو أن ابنته فتاة مدللة سيئة السلوك ومن السهل أن تفرط في شرفها، إن لم تكن قد فرطت فيه بالفعل.

أنا مقتنع تمامًا بأن هناك أثرياءً فاسدين، ولكن هل يعني ذلك أن يظهر دائمًا الثري كفاسد؟!

إن تكرار هذه الصورة النمطية تجعل تلك الصورة تترسخ في أذهان الناس، من كثرة ما شاهدوها، فيجعلهم ذلك يتعاملون في الواقع مع أي شخص ثري على أنه فاسد، وأي شاب يمتلك سيارة فارهة فالطبع "أمه اللي جايبهاله."

نحن لا نطلب من مؤلفي الأفلام والمسلسلات المصرية أن يفكروا خارج الصندوق؛ لأن معظمهم لم يفكر داخله أصلًا، نحن نطالبهم ألا يستسهلوا للدرجة التي تفسد أفكار المشاهدين.

THE REVENANT

"كل كادر لوحة فنية".. تكررت هذه الجملة كثيرًا خلال السنوات القليلة الماضية في برامج موقع "اليوتيوب" التي تُقَدِّم تقييمًا للأفلام السينمائية، ويبدو أن الجملة لها رونق خاص حتى يتم استخدامها أكثر من اللازم.

ورغم عدم رغبتي في استخدامها عند الحديث عن أي فيلم، فإنني وجدت نفسي مضطرًا لها بعد مشاهدة فيلم The revenant الذي قدمه المخرج أليخاندرو جونزاليس إناريتو عام ٢٠١٥ وقام ببطولته ليوناردو دي كابريو وحصل على جائزة الأوسكار عن دوره الشاق فيه.

استخدام هذه الجملة للتعبير عن الفيلم، ربما يكون هو أفضل ما يقال عنه، فالمخرج قدم كادرات جميلة جدًا ساعده عليها أن الفيلم تم تصوير معظم مشاهده – إن لم يكن كلها – في أماكن مفتوحة

(خارجي). ولكن هل تكفي الكادرات الجميلة لأن يكون الفيلم جيدًا؟

فيلم THE REVENANT هو نفس تيمة THE COUNT OF MONTE CRISTO، فالبطل هيو جلاس (ليوناردو دي كابريو) يهرب لينتقم، ولكنه لم يهرب من السجن، بل من الموت، بعد أن هاجمه دب متوحش وتسبب له في إصابات بالغة، فتركه جون فيتزجيرالد (توم هاردي) ليموت، وقتل ابنه. ولكن جلاس كانت لديه إرادة قوية، فتغلب على آلامه وقرر أن يعود في رحلة لم تكن سهلة على الإطلاق؛ لينتقم من غريمه.

الفصل الأول من الفيلم (المقدمة) استغرق نحو نصف الساعة، والفصل الثاني (رحلة العودة المميتة) حوالي ساعة ونصف من المعاناة والألم، ساعة ونصف البطل يتألم ويهرب من موت إلى موت ويأكل أي شيء؛ ليبقى على قيد الحياة ونرى جروحه البشعة وهو وحيد لا يتكلم، وهنا يجب أن نتوقف ونتحدث عن التوازن.

من أهم عوامل الجودة في أي سيناريو أن يكون هناك توازن بين عناصره، توازن بين فصوله الثلاثة (البداية والوسط والنهاية)، توازن بين الصورة والحوار، توازن في المشاعر.

ولنتكلم عن تلك النقاط بالتفصيل:

١ – التوازن بين الفصول الثلاثة لم يتحقق

فالفصل الأول نصف ساعة، والثاني ساعة ونصف، والثالث نصف ساعة، مع أنه من المفترض في تيمة الهروب والانتقام أن يكون الفصل الثالث (الانتقام) أطول من تلك المدة، ولكن مؤلف الفيلم اهتم أكثر بالفصل الثاني (الهروب) المليء بالمعاناة والألم وجاء ذلك على حساب الفصل الثالث، فغلب على الفيلم مشاعر المعاناة لدرجة الاختناق.

٢ – التوازن بين الصورة والحوار

ساعة ونصف والبطل في رحلته يصارع الموت وحده، فكان من الطبيعي أن تطغى الصورة على الحوار، وهذا ليس عيبًا، ولكن في هذا الفيلم طغت الصورة أكثر من اللازم.

٣ – التوازن في المشاعر

المشاعر المسيطرة على الفيلم هي الضيق والمعاناة والألم، وحتى عندما كان البطل يحقق أي نجاح في رحلته، كان ينجح وهو يتألم ويصارع الموت، فلم يستطع المتفرج أن يفرح ولو لدقائق معدودة.

غياب التوازن سببه أن السيناريست أراد أن يوضح لنا معاناة البطل هيو جلاس، ولكنه لم ينتبه، إلى أنه كان بحاجة إلى إحداث توازن بين ما يريده وما يسعى إليه المُشاهد.

كان من الممكن أن يختزل السيناريست جزءً من رحلة المعاناة، فنراها في ساعة إلا ربع مثلًا، مع الاهتمام أكثر بالفصل الثالث (الانتقام).

أزمة الفيلم الحقيقية في غياب التوازن، ولكن هل يعني ذلك أن ليوناردو دي كابريو لم يكن يستحق جائزة الأوسكار؟

الدور الذي قدمه ليوناردو دي كابريو لم يكن به صعوبات فنية، فأي ممثل يستطيع أن يقدم الأداء المطلوب، ولكنه يستحق الجائزة؛ لأنه بذل مجهودًا بدنيًا كبيرًا، وهو الأمر الذي يؤخَذ بعين الاعتبار عن التقييم في المهرجانات. ومع ذلك، يظل فيلم THE REVENANTN مثار جدل بين متحمس له، وآخر يرى أنه أكثر من حجمه. ولكن الأكيد أنه ليس أفضل أفلام ليوناردو دي كابريو.

يوسف شاهين

قال الفنان العالمي عمر الشريف ذات مرة، وخلال ظهوره في برنامج تليفزيوني، إنه بدأ التمثيل في صغره على مسرح المدرسة، ولم يكن يعي في تلك السن الصغيرة مفهوم مهنة التمثيل، ولكنه بعد انتهاء عرض المسرحية التي كان يقدمها ونزوله من على المسرح، قابل زملاءه ووجدهم ينظرون له نظرات إعجاب، فأعجبه إعجابهم به وأحب فكرة أن يكون ممثلًا.

نفهم من تلك الحكاية أن طبيعة شخصية الممثل تجعله دائم البحث عن النجومية ونظرات الإعجاب من متابعي أعماله.

وبالنظر إلى ما يحدث في الواقع، فإن الممثل هو مَن يحظى بتلك النظرات، وهو مَن يراه الجمهور نجمًا، وليس المخرج أو السيناريست أو المونتير أو مدير التصوير. وهذا بالطبع لا يقلل من أهمية ما يقومون

به. فبدون أحدهم لن يكون هناك عمل فني ولن يظهر النجم (الممثل) للجمهور.

المتابعون للأعمال الفنية المصرية يعرفون أن المخرج الراحل يوسف شاهين لم يكن مخرجًا فقط، فقد شارك في بعض الأفلام التي أخرجها كممثل، وأشهر تلك الأفلام فيلم "باب الحديد" الذي لعب فيه دور البطولة، عام ١٩٥٨، ولم يحقق أي نجاح لدى الجمهور الذي ذهب إلى دور العرض وهو يعتقد أن الفيلم بطولة فريد شوقي الملقب بوحش الشاشة.

وبمشاهدة أفلام السيرة الذاتية التي قدمها يوسف شاهين والتي بدأها عام ١٩٧٩ بـ "إسكندرية ليه؟"، ويحكي فيها عن حياته، نعرف جيدًا أنه أراد أن يصبح ممثلًا، ولكنه عندما ذهب ليدرس السينما في الولايات المتحدة الأمريكية، عاد وهو مخرج.

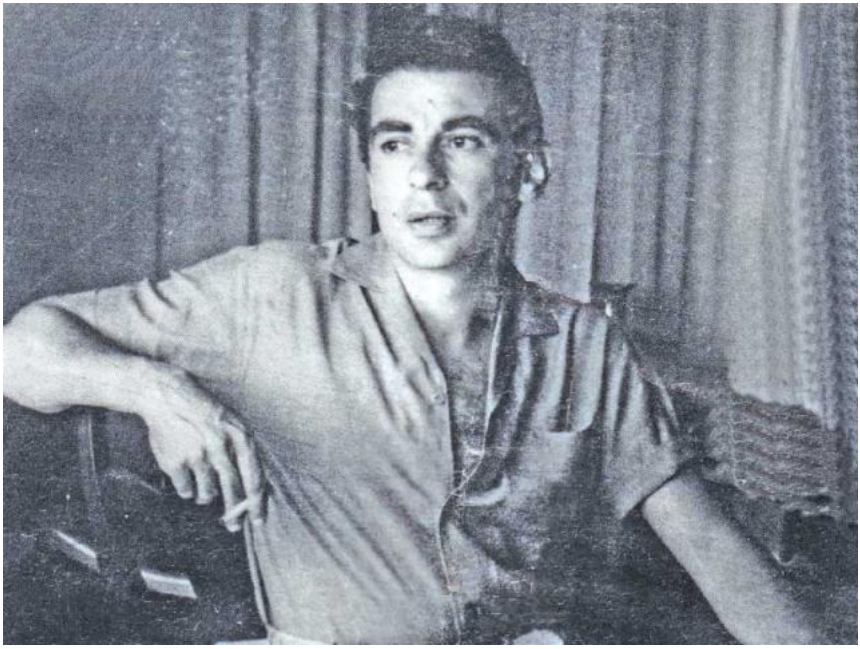

بدأ يوسف شاهين العمل كمخرج، عقب عودته من الخارج، وهو في سن صغيرة، وقدم أفلامًا حققت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا، مثل صراع في الوادي ١٩٥٤، صراع في الميناء ١٩٥٦. وهي الأفلام التي لعبت بطولتها الفنانة الراحلة فاتن حمامة مع النجم عمر الشريف، الذي أصبح فيما بعد عالميًا.

كما قدم "شاهين" فيلمًا خفيفًا من بطولة شادية وفريد الأطرش وهند رستم، وكان يعتبر من المخرجين الناجحين، خاصة عندما قدم فيلم الأرض عام ١٩٧٠، والذي قام ببطولته النجم الكبير محمود المليجي (رحمه الله).

ويبدو أن النجاحات التي حققها يوسف شاهين كمخرج لم تُنسه حلمه الأول المتعلق بالتمثيل لدرجة أنه كان يشعر بالغيرة من الممثلين الذين يحظون بالتصفيق والإعجاب أكثر من غيرهم من صُناع الفيلم.

رغبة يوسف شاهين في الظهور جعلته يلجأ لتقديم أفلام عن نفسه ليعرفه الجمهور أكثر، ويهتم به، ولم يكتفِ بذلك، بل بدأ يتعالى على الجمهور من خلال تقديمه لأفلام أكثر تعقيدًا من تلك التي بدأ بها ونجح، وقد اعترف بنفسه – بعد ذلك – بأنه كان يطرح الموضوعات بأسلوب معقد.

كما أنه كان يجبر الممثلين على التمثيل بطريقته، فخرج أداء معظمهم باهتًا، فلم يحبهم الجمهور كما أحبهم في أفلام أخرى قدموها بعيدًا عنه. وخير مثال على ذلك، هو نور الشريف الذي أحبه الجمهور في فيلم "العار" أكثر مما أحبه في فيلم "حدوتة مصرية".

إصرار يوسف شاهين على أن يخطف الأضواء من الممثلين الذين فشل في أن يكون مثلهم، جعله يصنع لنفسه اسمًا مميزًا، ولكنه فشل في جذب الجمهور إليه، وإيرادات أفلامه خير دليل على فشله.

في اعتقادي، أن يوسف شاهين كان يشعر بالغيرة من الممثلين، ولم يحب أبطال أفلامه بسبب فشله في أن يكون مثلهم – كما ذكرت – وهو ما جعله يستعين – أحيانًا - بممثلين موهبتهم محدودة جدًا أو ليس لديهم كاريزما، وعندما يستعين بممثلين موهوبين، فإنه يجعلهم يمثلون بطريقته التي أثبتت فشلها.

كان على يوسف شاهين أن يتقبل الأمر الواقع، وهو أنه لا يمتلك الكاريزما التي تجعله ممثلًا ناجحًا، ربما لو كان فعل ذلك، لكان استطاع أن يحقق نجاحًا كبيرًا ويقدم أفلامًا تصل للجمهور، مثلما فعل عاطف الطيب وصلاح أبو سيف، وغيرهم من المخرجين، ولكن طمعه وعقدته القديمة وقفا حائلًا بينه وبين الجمهور الذي لفظه لسنوات طويلة.

بوشكاش

يرى البعض أن الفنان محمد سعد أصبح نجمًا بضربة حظ، وبعدما قدم فيلم "اللمبي" الذي أنتجه له المنتج الكبير محمد السبكي عام ٢٠٠٢. وعن نفسي، أراه ممثلًا موهوبًا ومجتهدًا، قدم دورًا مميزًا في فيلم "الناظر"، عام ٢٠٠٠، فأصبح بطلًا لفيلم اللمبي عام ٢٠٠٢.

والحقيقة، أنني لا أجد سببًا لاستنكار الكثيرين – في ذلك الوقت – لأن يكون محمد سعد بطلًا، بعد أكثر من خمسة عشر عامًا في مهنة التمثيل. فلنقل إذًا إنه يستحق أن يكون بطلًا، طالما اجتهد وهو يمتلك الموهبة.

نجاح فيلم "اللمبي" فاجأ الجميع، بما فيهم محمد سعد نفسه الذي كان قد شارك في بطولة فيلم "٥٥ إسعاف" عام ٢٠٠١ مع أحمد حلمي ولم يحققا معًا نجاحًا يُذكَر.

ويبدو أن النجاح الصاخب المفاجئ لفيلم "اللمبي" أفقد محمد سعد توازنه، وتملكه الخوف من فقدان الكَنز الذي عثَر عليه فجأة

(النجومية)، فحصر نفسه في نفس النوعية من الأدوار؛ ليُقَدم لنا اللمبي ٢ أو "اللي بالي بالك" عام ٢٠٠٣، "عوكل" عام ٢٠٠٤، "بوحة" عام ٢٠٠٥، "كتكوت" عام ٢٠٠٦، "كركر" عام ٢٠٠٧.

خمسة أفلام قدمها محمد سعد بعد فيلم "اللمبي" وحقق نجاحًا كبيرًا من خلالها، بعد أن ظهر في أدوار شبيهة بـ "اللمبي". حتى قرر أن يجرب حظه مع الثنائي الناجح في ذلك الوقت (هشام ماجد وأحمد فهمي) اللذان حققا نجاحًا كبيرًا مع أحمد حلمي في فيلم "كده رضا" عام ٢٠٠٧.

ظهر محمد سعد في فيلم "بوشكاش" بشكل مختلف – إلى حد ما – عما اعتاده، وفي حكاية تتوفر لها مقومات النجاح، فقدم شخصية غير مستهلكة (سمسار اللاعبين) الذي يؤمن بالحظ من خلال "السلسلة" التي كان يرتديها.

وعرض لنا الفيلم بعض أجواء عالم كرة القدم التي يعشقها الكثير من المصريين، وفي نفس الوقت، تحدث عن الفساد من خلال شخصية المذيعة التي قدمتها زينة التي ارتبط بها بوشكاش محفوظ.

في رأيي أن أهم ما مَيَّز فيلم "بوشكاش" هو ابتعاده عن شخصيات اللمبي، وهو ما أراه كان فرصة مثالية لمحمد سعد لكي يبتعد عن دور "العبيط" الذي احترفه لسنوات متتاليات.

لم يحسن محمد سعد استغلال فيلم "بوشكاش" كما يجب، فقد عاد إلى نفس المنطقة التي شعر الجمهور بعد ذلك من الملل منها، فقدم (اللمبي ٨ جيجا، تك تك بوم، تتح، حياتي مبهدلة، وغيرها من الأفلام المتشابهة). فأصبحت أفلامه تحقق نجاحًا محدودًا جدًا في شباك التذاكر قبل أن يفشل بعضها.

وحتى عندما قدم الفنان الكوميدي فيلم "محمد حسين" الذي ابتعد فيه عن شخصيات اللمبي، كان الجمهور قد فقد الأمل فيه وبحث عن غيره؛ ليجد محمد سعد نفسه الآن في مأزق حقيقي.

إبراهيم نصر

"خطأ بالحلقة (رقم كذا) يكشف فبركة برنامج رامز جلال".. لطالما تكرر هذا الخبر كل عام في شهر رمضان، وحقق عددًا كبيرًا من المشاهدات على المواقع الإلكترونية. ليس بسبب فضول متابعي المواقع فقط، بل بسبب رفض بعضهم لأن يكونوا ضحية عملية (استحمار) صانعي البرنامج، حتى وإن كانوا سيستمرون في متابعته والضحك عليه.

كما أن ظهور أحد ضحايا مقالب رامز، في برنامج وتحدث عن المقلب الذي شاهدناه على الشاشة، وإذا ما كان مفبركًا أم حقيقيًا، يعد خبرًا جيدًا لصحفي التوك شو في المواقع الإخبارية.

وقد ظهر عدد لا بأس به من الفنانين وأكدوا أن البرنامج مفبرك، وهو بالطبع ما أثر في شعبية رامز بالإضافة إلى حملات التوعية ضد مخاطر هذه النوعية من البرامج، خصوصًا على الأطفال.

ومع تراجع شعبية برامج رامز جلال، ظهر أصحاب تيار (النوستالجيا) الذين عبروا عن حنينهم لبرامج (الزمن الجميل). وجاء برنامج الفنان الراحل إبراهيم نصر على رأس هذه البرامج، وهو البرنامج الذي عُرِض لأعوام متتالية، وحقق نجاحًا منقطع النظير.

وبالحديث عن برنامج (عم شندويلي) و(زكية زكريا)، أشار البعض إلى أن هذه البرامج أيضًا كانت مفبركة. وقد شاهدت الفنان الراحل في أكثر من برنامج، وعندما سُئل عن هذا الأمر، لم ينفِ بشكل قاطع، بالإضافة إلى ظهور أحد ضحايا برنامجه بعد سنوات من عرض حلقته، في إحدى فقرات برنامج (البرنامج) الذي كان يقدمه باسم يوسف على قناة ON TV.

ورغم شبهة (الفبركة) التي طالت برنامج إبراهيم نصر، مثلما طالت برامج رامز جلال، فإن مكانة إبراهيم نصر ما زالت كبيرة في قلوب الكثيرين، ليس بسبب الحنين للماضي فقط، ولكن بسبب الطريقة الراقية التي أضحكنا بها، فأصبحنا نراه بأنه الفنان الذي خدعنا لكي يسعدنا دون أن يُسَبِب لنا أذى.

السعادة التي أدخلها الفنان الراحل إبراهيم نصر إلى قلوبنا دون أن يؤذينا أو يجرح مشاعرنا، بالإضافة إلى الأدوار المتميزة التي قدمها لنا، مثل دور (جعيدي) في فيلم (شمس الزناتي)، ودور (حسن) في فيلم (مستر كاراتيه)، ودور (عزمي) في فيلم (إكس لارج)، وغيرها من الأدوار، جعلت علاقتنا به كعلاقة عاشق أعمى لا يرى عيوب مَن يعشقه.

بداية ونهاية

نغمة سائدة تقول إن السينما ظلمت أعمال نجيب محفوظ، وهي النغمة التي تلقى رواجًا لدى البعض، ربما بسبب الجهل بالفارق الكبير بين الرواية الأدبية والفيلم السينمائي الذي لا يمكن أن يتطابق مع الكلمات على الورق وهو – الفيلم - الذي يعتمد في توصيل المعلومات والمشاعر على الصورة السينمائية التي يأتي الحوار مكملًا لها.

قصص وروايات نجيب محفوظ التي تم تحويلها إلى أفلام سينمائية كثيرة، منها (الحب فوق هضبة الهرم)، (ثرثرة فوق النيل)، (ميرامار)، (السمان والخريف)، (الكرنك)، (خان الخليلي)، (القاهرة الجديدة)، (اللص والكلاب)، (بداية ونهاية)، وغيرها.

ولنأخذ مثالًا من روايات الأديب العالمي التي تحولت إلى فيلم سينمائي ونتحدث عن سيناريو فيلم (بداية ونهاية) الذي قام ببطولته عمر الشريف وفريد شوقي وسناء جميل وأخرجه صلاح أبو سيف عام ١٩٦٠.

من وجهة نظري، أرى أن سيناريو الفيلم كان جيدًا، ويمكن أن نبرهن على ذلك من المشاهد الأولى لأبطاله والتي أبرزت سمات كل شخصية.

١ – عمر الشريف (حسنين)، يظهر حسنين في أول مشهد في الفيلم في الحارة التي يسكنون بها ويسلم عليه أحد أهالي الحارة الذي يرتدي ملابس متواضعة، وبعد أن يمد حسنين يده له مضطرًا ليسلم عليه، فإنه يمسحها في ملابسه لنعرف أنه شخص متكبر لا يحترم الفقراء ثم يتابع سيره، وقبل أن يدخل المنزل الذي يسكنه مع أسرته، فإنه يدفع الأطفال الذين يلعبون في الحارة بعيدًا عنه في ضيق شديد لنعرف أنه لا يحب أحدًا.

ونراه في ثالث مشهد من الفيلم وهو يدخل من باب الشقة بعد أن تفتح له شقيقته نفيسة (سناء جميل) التي يطلب منها أن تخرج لتشتري له طعامًا غير العدس الذي فقد شهيته تجاهه بعد أن أكل منه كثيرًا:

- يووووه.. هو كل يوم عدس عدس عدس؟!

وتوافق نفيسة على ما يطلبه حسنين وتخرج لشراء (جبنة وحلاوة) وهو لا يعبأ بما يسببه لها من حرج وهي تشتري دون أن تدفع الحساب (شُكك).

٢ - **سناء جميل (نفيسة)** تظهر في ثالث مشهد من الفيلم مع حسنين وهي منكفئة على ماكينة الخياطة التي ستكون مهنتها فيما بعد، بعدما تقرر أن تضحي لكي تستطيع أن تساعد أسرتها (خصوصًا حسنين).

٣ – **كمال حسين (حسين)**، يظهر في المشهد الرابع وهو منكفئ على الكتاب يستذكر دروسه ونعرف من حواره مع حسنين أنه شاب مجتهد لا يحب الكذب ولا يخجل من الظروف المادية السيئة التي تمر بها أسرته. كما نراه يترك قميصه وحذاءه لحسنين الذي لا يتردد لحظة واحدة في استغلال أشقائه. لنتأكد من صفة الأنانية التي تحركه – حسنين – في علاقاته بالمحيطين به والتي ستستمر معه حتى نهاية الفيلم.

٤ – **فريد شوقي (حسن)**، يظهر في المشهد التاسع وهو يخرج من غرفته متذمرًا بسبب الضوضاء التي تمنعه من استكمال نومه فتعنفه أمه ونعرف أنه (عاطل) يعيش عالة على أمه (أمينة رزق) التي تعيش في معاناة مادية بعد وفاة زوجها.

ثم نرى حسن في المشهد رقم ١٤، والثاني له في الفيلم، وهو يلعب الورق (الكوتشينة) على المقهى ويبدو من تعامله مع رواد المقهى والقهوجي أنه شخص عنيف لا يتورع عن اللجوء إلى العنف لفرض سطوته على الآخرين (بلطجي).

في أقل من عشرين دقيقة، من فيلم مدته ساعتين، عرفنا صفات كل شخصية من الأشقاء الأربعة وعلاقتهم بأمهم التي عرفنا معاناتها وكيف تتعامل معها ومع أبنائها. هذا بالإضافة إلى معرفة موضوع الفيلم (معاناة الأسرة مع الفقر) وهو بالطبع ما يُحسب للسيناريست صلاح عز الدين، الذي كتب سيناريو الفيلم، و(أحمد شكري ومحمد كامل عبد السلام) اللذان كتبا الحوار.

خالد النبوي

لا شك أن الفنان خالد النبوي يتمتع بموهبة استثنائية لم تتوفر لكثيرين من أبناء جيله أو الأجيال التي جاءت بعده وتفوقت عليه، وعلى الرغم من تلك الموهبة، فإن الفشل لازمه في مُختَلَف محطات حياته، بداية من الأعمال التي قدمها مع المخرج الراحل يوسف شاهين، مرورًا بتجاربه في السينما العالمية، والسينما التجارية هنا في مصر.

قد يعترض البعض على كلمة (فشل)، ولكن قبل أن تعترض، اسأل عن إيرادات أفلامه وحاول أن تفكر في أسباب عزوف الجمهور عنها وهو الفنان الموهوب صاحب الكاريزما.

عن نفسي، أرى أن هناك أكثر من سبب لحالة الفشل المصاحبة للنجم الكبير، يمكن أن ألخصها في النقاط التالية:-

١ - يوسف شاهين

ارتبط اسم (النبوي) بيوسف شاهين في فترة التسعينيات، بعدما لعب معه بطولة فيلمين (المهاجر) و(المصير)، ولم يحققا نجاحًا يُذكر بسبب سمعة (شاهين) السيئة التي كان هو نفسه سببًا فيها بتعاليه على الجمهور ورغبته الدائمة في خطف الأضواء من أبطال أفلامه والتأكيد على أنه البطل من خلال العبارة الشهيرة التي زينت أفلامه (فيلم ليوسف شاهين) مع إصراره على تقديم أفلام عن حياته الشخصية (إسكندرية ليه ١٩٧٩ – حدوتة مصرية ١٩٨٢ - إسكندرية كمان وكمان ١٩٨٤ – إسكندرية نيويورك ٢٠٠٤).

سُمعة شاهين السيئة طاردت خالد النبوي لبعض الوقت، وجعلت الجمهور يأخذ موقفًا منه باعتباره مثل أستاذه

٢ - التعالي على الجمهور

لا أستطيع أن أنسى تلك الحلقة من برنامج كان يقدمه الإعلامي محمود سعد عام ٢٠٠٢ تقريبًا، والذي استضاف فيها الفنان خالد النبوي، وكان من ضمن فقرات الحلقة أن يختبر سعد معلومات ضيفه العامة، فسأله عن اسم حبيبة (عطيل) فقال خالد بثقة يُحسَد عليها: دزديمونة، قبل أن يستطرد وعلى وجهه ابتسامة: "اللي هي إنتوا بتقولوا عليها ديدمونة". ليرد عليه الإعلامي وهو يضحك: "إحنا مين؟!" وهذا هو مربط الفرس، فالفنان خالد النبوي وضع حاجزًا منيعًا بينه وبين الجمهور - بقصد أو بدون قصد - فأصبح يرى نفسه في عالم وجمهوره في عالم آخر. وذلك في نفس الوقت الذي ظهر فيه نجوم كثيرون وقالوا للجمهور: أنا منكم وأنتم مني.

٣ - العالمية

بإلقاء نظرة سريعة على الحساب الرسمي للفنان خالد النبوي على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر)، سنرى أنه يُعَرّف نفسه كممثل قَدَّم أفلام "مملكة الجنة" و"المواطن" و"اللعبة العادلة"، وهي الأعمال التي قدمها خارج مصر، ولم يحقق أيًا منها نجاحًا كبيرًا باستثناء "مملكة الجنة" الذي قدم فيه أربعة مشاهد فقط ككومبارس.

ربما اعتقد خالد النبوي أنه أصبح مثل عمر الشريف أو سيصبح مثله لمجرد مشاركته في أفلام أجنبية، وهو بالطبع ما لم ولن يحدث. وربما انشغاله بوهم العالمية جعله يتعالى على الجمهور أكثر، بل وعلى زملائه لدرجة إثارة مشكلات لا داعٍ لها بسبب ترتيب اسمه على تترات الأفلام والمسلسلات، بل والاعتذار عن بعض الأعمال لمجرد أن اسمه

لن يُكتَب أول اسم. ويُسأل في ذلك المنتج جمال العدل الذي أعلن أنه لن يعمل مع خالد النبوي مرة أخرى بسبب هذا الأمر.

الجمهور لا ينتظر أحدًا ولا يهرول للحاق بأحد، الجمهور ينتظر أن يهرول له الفنان ويحاول إرضاءه، وإذا لم يحاول، فالفنانون كثيرون والجمهور

يختار الأقرب له، فاختار أحمد السقا وأحمد عز وكريم عبد العزيز وغيرهم من النجوم الذين تفوقوا على خالد النبوي، رغم أنه حاول تقديم أفلام تجارية كفيلم (حسن طيارة) الذي فشل أيضًا.

في النهاية.. حالة الإعجاب بالفنان خالد النبوي على مواقع التواصل الاجتماعي لا معنى لها، ما لم تُتَرجَم إلى تذكرة سينما يشتريها المعجبون؛ ليشاهدوا أفلامه.. فالحب أفعال لا أقوال.

إعدام ميت

قد يُصاب البعض بالذهول، وربما يستنكر، عندما يسمع من يقول إن فيلمFace Off الذي قام ببطولته النَجم نيكولاس كيدج ومعه جون ترافولتا عام ١٩٩٧، هو إعادة لفيلم إعدام ميت الذي قام ببطولته النجم المصري الراحل محمود عبد العزيز عام ١٩٨٥.

ولكن عزيزي المصاب بالذهول أو المستنكر، يجب عليك أن تفكر قليلًا في أحداث الفيلمين، أو بمعنى أدق في (التيمة) أو الفكرة التي بُنيت عليها أحداث الفيلمين.

١ – فيلم (إعدام ميت)

تدور أحداث الفيلم حول شاب مصري خائن (منصور) يعمل بالتجسُس لصالح الكيان الصهيوني، ويتم استبداله بضابط مصري يشبهه تمامًا (عز الدين) بعد خضوعه لتدريبات وقطع أحد أصابع قدمه قبل إرساله لإسرائيل لمعرفة أسرار المفاعل الذري الإسرائيلي (ديمونة).

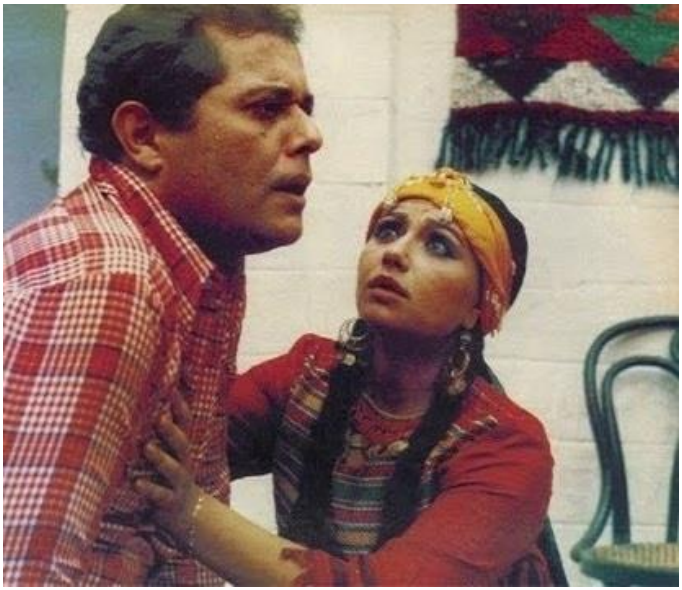

٢ – فيلم Face Off

تدور أحداث الفيلم حول إرهابي يُدعى كاستور تروي (نيكولاس كيدج) يزرع قنبلة في مكان ما على أن تنفجر في يوم محدد، فيتم زرع ضابط يُدعى شون أرتشر من الFBI (جون ترافولتا) في السجن ليستطيع التعرف على مكان انفجار القنبلة وموعده من أفراد العصابة داخل السجن. إذًا هي نفس التيمة أو الفكرة، فكرة البديل، ولكن الفيلم المصري اعتمد على صدفة وجود شبيه للشاب الخائن منصور، فقط يحتاج الشبيه إلى قطع إصبعه وفقدان بعض الوزن والتدريب على طريقة التحدث، في حين أن الفيلم الأمريكي أراد صُنَّاعه أن يقدموا الفكرة بشكل أكثر تطورًا، فلم يعتمدوا على الصدفة، بل اعتمدوا على التطور العلمي الذي يمكنهم من استبدال وجهي الإرهابي والضابط.

وبالعودة إلى ما قبل عام ١٩٨٥ سنكتشف أن تيمة (البديل) تم تقديمها أكثر من مرة في السينما المصرية والعالمية، ومنها فيلم (المليونير) لإسماعيل ياسين، وفيلم (صاحب الجلالة) لفريد شوقي وغيرها من الأفلام. وبالعودة بالسنوات أكثر، سنكتشف أن تلك التيمة تعود في الأصل إلى روايةthe prince and the pauper أو (الأمير والفقير) التي كتبها الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين عام ١٨٨١م.

يوسف الشريف

أثار الفنان يوسف الشريف حالة من الجدل لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي الذين تابعوا مسلسل "النهاية" في شهر رمضان ٢٠٢٠، بسبب مشهد قدمه في الحلقة الـ٢٠ من المسلسل، وبدا غير منطقي؛ لأن زوجته في المسلسل كان من المفترض أن تنقله إلى سيارة بعد أن أصيب بطلقات نارية، ولكنه ظهر في السيارة بشكل مفاجئ دون أن نرى زوجته وهي تنقله.

رد "الشريف" على منتقدي المشهد موضحًا أنه وضع قيودًا على نفسه فيما يخص التعامل مع زميلاته بأعماله الفنية بحيث لا يحدث أي نوع من التلامس معهن.

وقال الفنان، خلال استضافته في برنامج "مساء dmc " الذي يقدمه الإعلامي رامي رضوان على قناة dmc الفضائية: "الحقيقة إني وضعت لنفسي قيودًا كثيرة، لكنها من زمان جدًا، من حوالي عشر سنوات بعد

تقديم فيلم فتح عينيك، وهذا معروف عني، وأعتقد أنها حرية شخصية، خاصة أني لا أؤذي بها أحدًا".

الغريب أن يوسف الشريف قال في نفس الحلقة من البرنامج إنه يفتخر بكون اللاعب المصري محمد صلاح مصريًا، كما يفتخر بعمرو دياب وعادل إمام، وهو ما أراه تناقضًا واضحًا.

والحديث عن التناقض ليس بسبب "صلاح" أو "دياب"، بل بسبب عادل إمام المعروف عنه أنه قدم مشاهد جنسية بشكل فج في معظم أفلامه، لدرجة أنه يُعرَف لدى الكثيرين بأنه أكثر ممثل قدم مشاهد جنسية ليس لها أي مبرر.

والأفلام التي قدمها عادل إمام في فترتي السبعينيات والثمانينيات وحتى منتصف التسعينات، والتي يظهر في معظمها كشخص لا هم له سوى البحث عن الجنس، خير دليل، لدرجة أن إحدى بطلاته في تلك الفترة، الفنانة لبلبة، قالت في حوار تليفزيوني لها ببرنامج "أنا والعسل" إن عادل إمام قبلها أكثر من زوجها.

تلك الأفلام المبتذلة التي قدمها عادل إمام هي تاريخه الحقيقي والتي أسس عليها نجوميته التي استمرت لنحو أربعين عامًا.

لا شك أن "الزعيم" قدم أفلامًا جيدة، مثل "الغول" و"طيور الظلام" و"الإنسان يعيش مرة واحدة" و"حب في الزنزانة" و"خلي بالك من عقلك" و"الإرهاب والكباب"، ولكن تلك الأفلام الجيدة لا تمثل نقطة في بحر أفلامه التجارية معدومة القيمة الفنية التي يكفي مشاهدة "أفيشاتها" للحكم على محتواها الرخيص.

إذا كان عادل إمام قدم مائة فيلم من بطولته، فإن ٧٠ منها على الأقل، كانت قائمة على سيناريوهات ضعيفة ومشاهد جنسية فجة لا تليق بممثل يمكن أن يكون مصدر فخر لممثل آخر يرفض حدوث أي تلامس مع زميلاته من الممثلات، بل ويكتب ذلك كشرط في عقود الأعمال الفنية التي يقدمها.

العار

دائمًا ما يستفزني ذلك المشهد من فيلم (العار) عندما طلب كمال (نور الشريف) من شقيقيه شكري (حسين فهمي) وعادل (محمود عبد العزيز) مقابلته في ذلك المطعم لإقناعهما بمساعدته في استلام البضاعة وتخزينها (المخدرات).

يبدأ المشهد باستنكار شكري لاختيار كمال لمطعم يعج برواده للحديث عن الصفقة باعتباره مكان غير مناسب، فيبرر كمال اختياره قائلًا:

- ده أنسب مكان يا أستاذ.. كل الناس اللي فيه شياكة.. ماحدش دريان بالتاني.

ثم يسألهما كمال عما يريدان شربه، فيطلب كل منهما "واحد ويسكي ليُهَدئ من فوران أعصابه"، في حين يطلب هو – كمال - "واحد عصير لمون سكر تقيل" ليثير سخريتهما وهو تاجر المخدرات الذي لا يحتسي الخمر؛ لأنها محرمة – بحسب ما قال.

عادل: مين قدك إنت يا رايق ياللي بتشرب عصير لمون!

كمال: أصلي ما بشربش خمرة أبدًا.
شكري: ليه بقى يا سيدي؟
كمال: عشان حرام.
وكان من الطبيعي أن يسخر شكري مما يقوله كمال ويسأله مستنكرًا:
- أنا مش قادر أفهم إزاي بتصلي وبتتاجر في المهببات دي؟!
ليرد عليه كمال:
- وأنا مش قادر أفهم إزاي بتشربوا الخمرة وبتستحرموا المهببات دي؟!
وهذا هو مربط الفرس، فمؤلف الفيلم لديه حوار معين، عن الخمر والمخدرات، يريد من شخصياته أن تتفوه به؛ ليوضح حالة التناقض لديهم، فقام بخلق مشهد لهذا الحوار الذي يحتاج مكانًا به خمر (المطعم) ليكتب لنا مشهدًا غير منطقي نرى فيه الأشقاء الثلاثة وهم يتحدثون عن صفقة المخدرات دون خوف وكأنهم جالسون في أأمن مكان في منزلهم.
كان من المفترض أن يراعي محمود أبو زيد، مؤلف الفيلم، أبسط قواعد كتابة سيناريو الفيلم السينمائي، فيكون لديه حدث ما ويقوم بصياغة هذا الحدث في مشهد يعتمد على توصيل المعلومة بالصورة، وعندما تعجز الصورة عند نقطة معينة، يستعين بالحوار لتوصيل باقي المعلومات، إلا أنه كتب هذا المشهد، ومشاهد أخرى، كمن يضع العربة أمام الحصان، لديه حوار معين ويخلِق له مشهدًا؛ لتكون النتيجة سيناريو يصلح أكثر كفيلم إذاعي.

رأفت الهجان

رغم تقديم عدد لا بأس به من المسلسلات التليفزيونية المأخوذة عن ملفات المخابرات المصرية، فإن مسلسل "رأفت الهجان" الذي قام ببطولته الفنان الراحل محمود عبد العزيز يظل له مكانة خاصة لدى عشاق هذا النوع من الأعمال الدرامية.

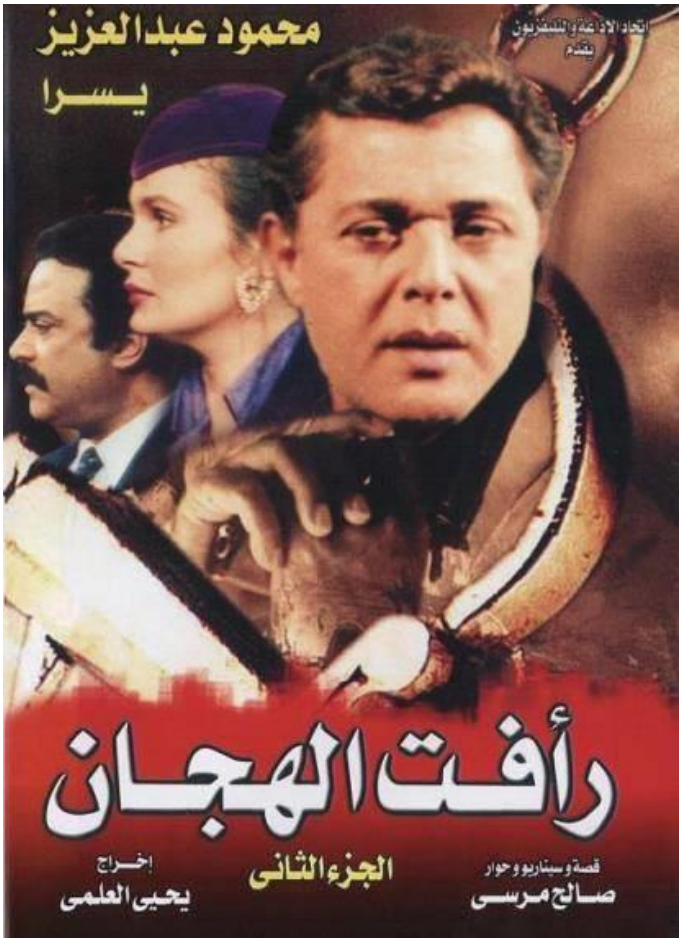

تم تقديم مسلسل "رأفت الهجان" على ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول عام ١٩٨٨ ويتكون من ١٥ حلقة.
- الجزء الثاني عام ١٩٩٠ ويتكون من ٢٧ حلقة.
- الجزء الثالث عام ١٩٩٢ ويتكون من ١٤ حلقة.

وحققت الثلاثة أجزاء نجاحًا منقطع النظير، جعل هذا المسلسل يحتل الصدارة في عالم المسلسلات المخابراتية، ويأتي بعده بفارق شاسع مسلسل "دموع في عيون وقحة" الذي قام ببطولته الفنان عادل إمام عام ١٩٨٠.

ونتناول في النقاط التالية بعض العوامل التي وضعت رأفت الهجان على قمة الأعمال المخابراتية.

١ - بدأت رحلة رأفت الهجان مع بداية تكوين جهاز المخابرات المصرية، وقبل أن تتكون ملامح الجهاز الجديد الذي أثبت نجاحه بنجاح هذه العملية التي اعتمد نجاحها - في البداية - على العنصر البشري أكثر من قوانين المخابرات السائدة في مختلف دول العالم.

٢ - بداية أحداث المسلسل، كانت في فترة الخمسينيات، وهي الفترة التي تستهوي أصحاب تيار النوستالجيا (الحنين للماضي) وعاشقي الكلاسيكيات.

٣ - تقديم المسلسل على ثلاثة أجزاء، جعل المتابعين لأحداثه يعيشون معه لفترة طويلة ويعايشون مراحل التطور فارتبطوا به أكثر.

٤ - صعوبة العملية التي قام بها رأفت الهجان تجعل من العمل وكأنه عمل أسطوري يتوفر به عنصر الإبهار لمن يتابع أحداثه.
٥ - التركيز على ظروف عمل رجال جهاز المخابرات المصرية وكيف كانوا يؤدون عملهم بعيدًا عن مظاهر الرفاهية والترف (خاصةً في الجزء الأول).
٦ - اختيار الممثلين كان موفقًا بشكل كبير، خاصة في الجزئين الأول والثاني، لدرجة جعلت الكثيرين يحبون الشخصيات اليهودية التي ألبسها صُنَّاع المسلسل ثوبًا من روح المرح أحيانًا، والوقار في أحيان أخرى (كشخصية شارل سمحون وابنته الجميلة ماجي).
٧ - الإخراج المتميز للمخرج الراحل يحيى العلمي الذي صنع لقطات مميزة ووظف الممثلين في أدوارهم بشكل جيد (باستثناء سماح أنور في دور حنا بلومبرج في الجزء الثالث والتي كانت حلقاتها هي الأسوأ في أجزاء المسلسل الثلاثة).
٨ - الموسيقى التصويرية التي لحنها الموسيقار الراحل عمار الشريعي والنجاح الذي حققته، جعل الكثيرين يشعرون وكأنها - الموسيقى - كانت مصاحبة للبطل الحقيقي (رفعت الجمال) في رحلته.
وأخيرًا.. النجم الكبير محمود عبد العزيز الذي كان يتمتع بجاذبية كبيرة وموهبة استثنائية، فأبهرنا بأداء متميز أوصل لنا مشاعر الحزن، والقلق،والخوف، والسعادة، والغضب، والإحباط، فعايشناها معه وأحببناه لدرجة جعلتنا نندهش، عندما شاهدنا صور رأفت الهجان الحقيقي (رفعت الجمال) الذي توقعناه يشبه نجم المسلسل.

● جاك بيتون أو رقصت الجمال وزوجته فالتراود بيتون عقب زواجهما مباشرة .

النجم الراحل محمود عبد العزيز كان العنصر الوحيد المختلف عن طاقم العمل الرئيسي لمسلسل "دموع في عيون وقحة" (المؤلف صالح مرسي، المخرج يحيى العلمي، والموسيقار عمار الشريعي)، وهو ما أثر بشكل كبير على مستوى العمل، وجعله يحتل مكانة مميزة لدى الجمهور، ووضع جميع أبطال المسلسلات المخابراتية في مأزق حقيقي بسبب مقارنتهم بفنان استثنائي مثل محمود عبد العزيز الذي لا يتكرر كثيرًا.

لا شك، أن مسلسل رأفت الهجان به بعض الأخطاء التي حاول صُناع الدراما تلافيها في المسلسلات التي قُدِّمَت بعد ذلك، ومع ذلك، لم تحقق مسلسلاتهم نفس نجاح رأفت الهجان الذي قدمه الساحر بأداء متميز وكاريزما من الصعب تكرارها.

لقد تسبب محمود عبد العزيز في أزمة حقيقية لأي ممثل يقدم عملًا عن المخابرات، فبسبب ارتباط المشاهدين برأفت الهجان الذي جَسَّدَه الفنان الراحل، فإنهم يعقدون مقارنة بينه وبينهم، فتنتهي بالطبع لصالح ساحر السينما والدراما.

Inglorious Basterds

استطاع المخرج والسيناريست الاستثنائي كوانتين تارانتينو أن يحقق المعادلة الصعبة في مختلف الأفلام التي قدمها بدايةً من فيلم Reservoir Dogsالذي قدمه عام ١٩٩٢ وحتى فيلم once upon a time in Hollywoodالذي قدمه في عام ٢٠١٩، حتى استحق أن يوصف بأنه "استثنائي"، سواء في طريقة كتابته لأحداث أفلامه أو طريقة إخراجها.

تميز "تارانتينو" بأنه لا يلتزم بالقواعد المعروفة التي تحكم صناعة الأفلام السينمائية، ومع ذلك، فإن من يشاهد أفلامه، يعيش حالة من الانبهار يغلفها شعور بالدهشة. فحالة الإعجاب والاستمتاع بالفيلم تتداخل مع شعور بالدهشة من أن هناك شيئًا غريبًا.

وبأخذ أحد الأمثلة من أفلامه، نستطيع أن تحدث عن مشهدين من فيلمه Inglorious basterds الذي قدمه عام ٢٠٠٩ وقام ببطولته براد بيت مع الممثل الكبير كريستوف فالتز.

في المشهد الثاني من الفيلم، يدخل كولونيل هانز لاندا (كريستوف فالتز) مع المزارع بيري لابادیت (دينيس مينوشيت) إلى منزله ويوجه له بعض الأسئلة قبل أن يفتح باب المنزل ويشير لرجاله الذين يحملون الأسلحة بالدخول لقتل العائلة اليهودية المختبئة أسفل أرضية المنزل.

استمر ذلك المشهد لنحو ١٥ دقيقة، وهو الأمر الذي جعله أشبه بمشهد في مسرحية وليس مشهد في فيلم سينمائي من المفترض أن يكون متوسط مدته دقيقة واحدة، وإذا زادت المدة عن دقيقة، فليس من المنطقي أن تصل إلى ١٥ دقيقة، فالمُشاهد لا بد في هذه الحالة أن يشعر بالملل والخلل في سيناريو الفيلم، ومع ذلك، فإن المشهد يعتبر من المشاهد الممتعة جدًا.

استطاع تارانتينو أن يُخرج المشهد بحرفية كما كتبه بحرفية، فنقل لنا حالة الخوف والترقب والقلق باحترافية شديدة وجعلنا نشاهد المشهد بتركيز شديد؛ لأننا نتوقع أن ينتهي بكارثة، وهو ما حدث ليعوض لنا حالة الجمود التي استمرت لنحو ١٥ دقيقة.

ولم يكتفِ المخرج الكبير بكسر قاعدة مدة المشهد في المشهد الثاني فقط، بل كرر الأمر في مشهد "الحانة" الذي يذهب فيه الضابط أرشي هيكوكس (مايكل فاسبندر) ورفاقه لمقابلة صديقتهم الممثلة

بريديجت فون هامر سمارك واستمر لأكثر من ٢٥ دقيقة، وهي المدة الزمنية التي يصعب على المُشاهد أن يحتملها وهو يشاهد مشهدًا واحدًا في فيلم سينمائي.

ولكن يبدو أن كوانتين تارانتينو كان يعرف جيدًا ما يفعله، فلم يلجأ لقطع المشهد على مشاهد أخرى خارج الحانة والعودة إليها مرة أخرى، فقد استمر داخل الحانة لهذه المدة الطويلة وهو يعرف جيدًا أنه سيعَوِّض المُشاهد عن حالة الجمود تلك بمشهد من مشاهده الدموية التي يمتاز بها.

شعور المُشاهد بأن هناك شيئًا ما سيحدث، يجعله بتابع هذا المشهد الطويل دون أن يشعر بالملل الذي جاء إيقاعه بطيئًا على نحو ما.

هذا هو كوانتين تارانتينو الذي تمتاز أفلامه بأنها مختلفة، فهو يكسر قواعد الكتابة والإخراج، ولكنه يفعل ذلك باحترافية شديدة، فيجعلك تستمتع بالفيلم رغم حالة الدهشة التي تغلف حالة الإعجاب.

في بيتنا رجل

دائمًا ما كنا نرى أنفسنا أبطالًا، عندما نشاهد أي عمل فني (فيلم أو مسلسل)، ونتخيل أننا مكان ذلك الشخص الشجاع القوي الذي يمتلك مميزات عديدة، فمثلًا عندما نشاهد فيلم "في بيتنا رجل" كان كل منا يرى نفسه إبراهيم حمدي، البطل الشجاع الذي ضحى بمستقبله من أجل الوطن.

وإذا كنا جميعًا إبراهيم حمدي، ألا يكفي ذلك ليتسيد وطننا العالم وهو المليء بالأبطال الشجعان المضحيين؟!

الكثير منا يعيش بخيال مريض يُصَوِّر له أنه البطل الوطني الشهم الشجاع، والبعض يستفيق من غيبوبته وتصوراته ويصبح أكثر واقعية، وقد يرى نفسه محيي (حسن يوسف) الشاب السلبي ضعيف الشخصية الذي لم يهتم بالمشاركة في العمل الوطني قبل أن يساعد إبراهيم حمدي.

وقد يستفيق – ذلك البعض - أكثر ويواجه نفسه بالحقيقة المؤلمة التي تؤكد أنه عبد الحميد زاهر (رشدي أباظة)، الشاب الفهلوي

"الندل" الذي فشل في دراسته وعندما جاءت له الفرصة ليبتز عمه، لم يتردد، ودخل معه في مساومة رخيصة للزواج من سامية ابنة عمه.

في الحقيقة، سواء رأيت نفسك إبراهيم حمدي، أو محيي زاهر، أو عبد الحميد، فإن نظرتك قد ينقصها الكثير من الواقعية، فحتى عبد الحميد تغير بعد أن لحقت به سامية في مكتب همام بك.

الحقيقة الواضحة وضوح الشمس أنك إذا كنت ترى نفسك بطلًا، فإنه الغرور بعينه، ولا شيء سواه، فإذا كنت أنت بطلًا وأنا بطلًا وجميعنا أبطالًا، فمن هم الجبناء المتخاذلون؟! هل تعتقد عزيزي "البطل" أننا جميعًا أبطال شجعان لديهم مبادئ؟ إذا كنا كذلك، فلن يكون هذا حالنا أو حال مجتمعنا.

والآن.. من أنت من شخصيات الفيلم؟

زاهر أفندي؟

إذا كنت تعتقد أنك زاهر أفندي، ذلك الرجل المسالم الذي دفعته إنسانيته إلى المخاطرة بنفسه وبأهل بيته من أجل حماية الشاب البطل إبراهيم حمدي، فأنت لم تتعلم الدرس، وما زلت مُصرًا على خداع نفسك ومن حولك بارتداء زي بطولة لا يناسبك.

الحقيقة أنك إذا استفقت من أحلامك وأوهامك، فستجد أنك قد تكون ذلك الرجل الذي كان يجلس في أحد أركان "البار" الذي كان يجلس به عبد الحميد زاهر وهو يستمع إلى بيان الإعلان عن مكافأة قيمتها خمسة آلاف جنيه لمن يُرشِد عن مكان اختباء إبراهيم حمدي.

أنت ذلك الرجل الذي لم يلاحظه أحد، ولم يهتم مخرج الفيلم بإظهاره، ولو في لقطة متوسطةmedium shot .

وإذا لم يعجبك أن تكون ذلك الكومبارس النكرة، فيمكنك أن تجتهد في حياتك؛ لتكون ذلك الخادم الذي عنفه عبد الحميد في أحد المشاهد قبل أن يعتذر له ويعنفه مرة أخرى بسبب رائحته الكريهة.

أنت لست بطلًا.

عاطف الطيب

استطاع المخرج الراحل عاطف الطيب أن يحفر لنفسه مكانة كبيرة وسط أهم المخرجين في تاريخ السينما المصرية من خلال تقديمه لواحد وعشرين فيلمًا ما بين عام ١٩٨٢ الذي قدم فيه فيلم "الغيرة القاتلة" وفيلم "سواق الأوتوبيس"، وعام ١٩٩٨الذي قدم فيه آخر أفلامه "جبر الخواطر".

ستة عشر عامًا فقط كانت كافية ليقدم المخرج الكبير أعمالًا فنية مميزة اتسمت بالواقعية وصُنِّف بعضها من ضمن أهم الأفلام في تاريخ السينما المصرية.

ولكي نفهم سبب اعتبار عاطف الطيب من المخرجين المميزين في تاريخ السينما، نحتاج إلى كتب وليس مجرد مقال، ولكننا سنحاول تبسيط الأمر وتوضيح سر تميز المخرج الراحل، فقط من خلال لقطتين من ثاني أفلامه "سواق الأتوبيس" الذي قدمه عام ١٩٨٢ وقام ببطولته النجم الراحل نور الشريف مع نخبة من الفنانين المتميزين أمثال عماد حمدي ووحيد سيف وحسن حسني (رحمهم الله).

اللقطة الأولى

لقطة من زاوية منخفضة low angle للحاج سلطان (عماد حمدي) في المشهد الذي يطلب فيه تاجر المخدرات أبو عميرة (محمد شوقي) ابنته للزواج، بعد أن يعرض عليه تسديد ديونه للحفاظ على ورشة النجارة.

من المعروف أن تصوير الممثل من زاوية منخفضة يظهره كشخص قوي، ذي هيبة، مسيطر، يمتلك عزة نفس، وهو المعنى الذي أراد عاطف الطيب أن يوصله للمُشاهد من خلال الصورة التي تعتبر أداة توصيل المعلومات والمشاعر الأولى في الفيلم السينمائي. أراد "الطيب" أن يوضح لنا أن الحاج سلطان ورغم أنه يمر بأزمة مادية كبيرة، فإنه ما زال يتمتع بعزة نفس ولن يقبل أن يفرط في ابنته. فشاهدنا ذلك الكادر المميز الذي يتحدث عن نفسه ويوصل لنا الحالة الدرامية للمشهد.

اللقطة الثانية

حسن (نور الشريف) يقف أمام البحر ونراه في لقطة قريبة close shot وهو ينظر للبحر تليها لقطة لأمواج البحر لتعبر اللقطتان عن مشاعر الغضب والهياج التي يشعر بها حسن بعد أن رفض شقيق زوجته

الكبرى (فوزية) أن يقرضه المال اللازم لإنقاذ ورشة والده من الضياع.

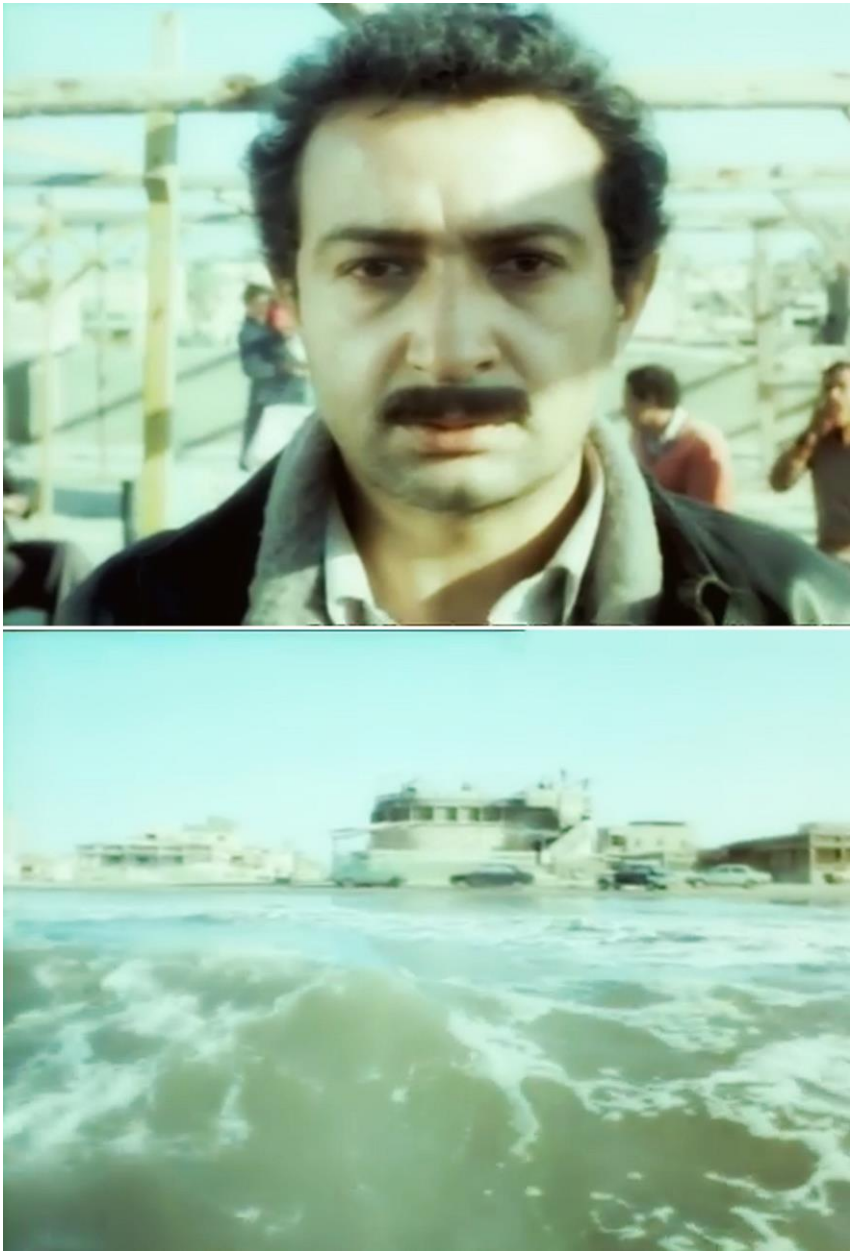

استطاع عاطف الطيب أن ينقل لنا مشاعر حسن بالصورة ودون أي جملة حوار، وهو بالطبع ما يعكس مدى فهمه لطبيعة الفن الذي يقدمه والذي يعتمد - كما ذكرت - على الصورة أكثر من الحوار.

تميُز عاطف الطيب لا يظهر فقط في هاتين اللقطتين، بل هما مجرد مثالين يوضحان قدرته على استخدام أدواته (اللقطات وأحجامها وزواياها) في التعبير عن الحالة الدرامية للفيلم الذي امتاز بتكوينات مميزة لم تتوفر كثيرًا في الأفلام المصرية – خصوصًا في فترة الثمانينيات – التي كان عاطف الطيب أحد أهم مخرجيها، إن لم يكن أهمهم على الإطلاق.

عن العشق والهوى

لا أستطيع أن أصف مشاهدتي لفيلم (عن العشق والهوى) إلا بأنها تجربة سيئة أصابتني بالإحباط والاختناق، رغم أنه فيلم يُصَنَّف كفيلم رومانسي.

تدور أحداث الفيلم حول الشاب الثري عمر (أحمد السقا) الذي يحب الفتاة الفقيرة علياء (منى زكي) وينفصل عنها، بعدما علم من أخيه مراد (طارق لطفي) أن شقيقتها بطة بطاطس (غادة عبد الرازق) تعمل بائعة جنس.

يتزوج عمر من قسمت (بشرى) زواجًا تقليديًا وينجبا ولدًا (سيف)، ويتعرف على سلمى (منة شلبي) وهي السيدة غير السعيدة في حياتها الزوجية التي تقرر أن تنهيها وتتزوج (في السر) من عمر الذي يمر بظروف مشابهة لما تعيشها.

وترتبط علياء بأشرف (مجدي كامل) وتدخل في علاقة معه وهو الشاب مدمن المخدرات الذي يسكن معها في نفس الحي الفقير، ويلح عليها في طلب الزواج في نفس الوقت الذي يخونها مع سيدة وصفتها علياء بأنها (قد أمه).

جميع العلاقات العاطفية في الفيلم فاشلة، عمر وعلياء يحب كل منهما الآخر، ولكن علاقتهما لا تستمر، فيتزوج مع قسمت التي تحبه ولا يحبها، ويخونها مع سلمى المتزوجة من رجل يحبها ولا تحبه.ويتدهور الأمر أكثر، عندما نعرف أن مراد يحب زوجة أخيه عمر، في مشهد مليء بالدموع المتبادلة بينهما (عمر ومراد)، بعدما شاهدنا دموع جميع أبطال الفيلم بمن فيهم أشرف المجرم المنحرف.

ما هذا التعقيد الشديد في العلاقات الذي نشاهده في فيلم من المفترض أنه رومانسي يجعل من يشاهدونه يستمتعون بمشاهدته؟!

ألا يوجد علاقة واحدة ناجحة؟!

تردد هذا السؤال بداخلي، بعدما تحاملت على نفسي وأكملت الفيلم حتى نهايته وشعرت بالضيق الشديد، والدهشة من علاقة مجدي حسنين (خالد صالح) المنتج المشهور، ببطة بطاطس العاهرة الرخيصة.

محمد خان

في حياتي اليومية، سواء الواقعية أو الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي، أقابل أشخاصًا يشاهدون الأفلام بغزارة ولم يكتفوا بالمشاهدة فقط، بل تخطوا تلك المرحلة إلى إبداء الرأي والتحليل، فأجدهم يُشيدون بفيلم ما، أو بمخرج ما ويتحدثون عن عبقريته باستفاضة.

ومن المخرجين الذين يحظون بقدر كبير من الإشادة، المخرج الراحل محمد خان الذي قدم أفلامًا مع نجوم كبار أمثال أحمد زكي، ويحيى الفخراني ونور الشريف.
بالنسبة لي، لا أرى محمد خان مخرجًا متميزًا، خاصةً إذا عقدنا مقارنة بينه وبين مخرج من نفس جيله وهو عاطف الطيب الذي أراه أكثر إبداعًا منه بمراحل، ولكن ليس لدي مشكلة إذا كان يرى البعض أنه – خان - أفضل مخرج في تاريخ السينما المصرية أو حتى العالمية.

المشكلة بالنسبة لي أن المبهورين بمحمد خان، عندما يريدون أن يبرهنوا على عظمته الفنية، فإنهم – في الغالب - يأخذون مشهدًا من أحد أفلامه وينشروه على أحد مواقع التواصل الاجتماعي – غالبًا فيسبوك - ويتحدثون عن أحد أو بعض عناصره بعيدًا عن الإخراج وفي نفس الوقت، يُشِيدون بالمخرج.

ولأضرب لكم مثالًا بسيطًا من فيلم "خرج ولم يعد" الذي أخرجه محمد

خان عام ١٩٨٤ وقام ببطولته الفنان الكبير يحيى الفخراني مع النجم الكبير فريد شوقي بمشاركة الفنانة ليلى علوي.

في أحد مشاهد الفيلم، دار الحوار التالي بين عطية (يحيى الفخراني) وخيرية (ليلى علوي):

-هو كمال بيه راح فين؟

- بيوصل إخواتي مدارسهم

- وإنتي ما روحتيش مدرستك ليه؟ قصدي ما روحتيش الجامعة ليه؟

- أنا لا بروح مدرسة ولا جامعة

-خدتي الليسانس خلاص؟

- لا ليسانس ولا بكالوريوس.. أنا ساقطة إعدادية

- هههه حلوة النكتة دي

- أنا بتكلم بجد.. عمرك ما شوفتش بنت خابت في المدارس؟

- أيوة بس مش باين عليكي

- وهي البت الخايبة بيبان عليها؟ أهي بت زي كل البنات

- أنا قصدي مش باين عليكي إنك زعلانة عشان ماكملتيش دراستك
- وأزعل ليه بس؟ أنا طالعة لأمي بالظبط.. فلاحة.. إنت عارف إن ماما فلاحة بنت فلاح؟
- أيوة عارف
- طب وإيه رأيك فيها؟
- ست عظيمة
- أهو أنا كمان بنت عظيمة

ينشر بعض الأشخاص هذا الحوار مع صورة من المشهد الذي جمع ليلى علوي ويحيى الفخراني مع كتابة (caption) أو وصف للمنشور ليشيد بعبقرية محمد خان ورؤيته للمرأة وكيف عَبَّر عنها بهذا الحوار العظيم.

والسؤال الذي يجب أن نسأله:
هل المخرج هو الذي يكتب الحوار؟
الإجابة بسيطة جدًا، وهي:
لا.. المخرج ليس هو كاتب الحوار، مؤلف الفيلم هو الذي يكتب الحوار والمخرج وظيفته هي نقل هذا الحوار بشكل معين.

إذًا عاصم توفيق، مؤلف الفيلم، هو الذي يجب أن يحظى بهذه الإشادة الخاصة بحوار هذا المشهد أو غيره، وليس المخرج الذي إذا أردنا أن نتحدث عنه، فيجب أن نعي جيدًا طبيعة عمله، فلا تختلط علينا الأمور ونشير إلى ما فعله السيناريست وننسبه للمخرج.

رغم رؤيتي لمنشورات عديدة عن فيلم "خرج ولم يعد" فإنني لم أسمع أو أرَ أحدًا أشاد بالسيناريست عاصم توفيق، وفي الغالب، فإن "دراويش" محمد خان الذين يحبون الفيلم – مثلما أحبه – لا يعلمون شيئًا عن مؤلفه وتجاهلوا تمامًا صناع العمل باستثناء المخرج الراحل الذي أراه أخذ أكثر من حقه على حساب من شاركوه في صناعة أفلامه.

إذا أردت أن تتحدث عن عبقرية محمد خان أو تميزه، فيجب أن تذكر ما فعله هو - وليس ما فعله آخرون - مثل أحجام اللقطات، حركة الكاميرا، زوايا التصوير، أداء الممثلين الذي يشرف عليه.. إلخ. أما أن نتحدث عن عظمة الحوار ونشيد بالمخرج، فهذا هو الجهل بعينه.

قد يختلف معي البعض – أو الكثير – بسبب رأيي في محمد خان، ولكن قبل أن تختلفوا تذكروا جيدًا أنني كتبت "ليس لدي مشكلة، إذا كان يرى البعض أنه – خان - أفضل مخرج في تاريخ السينما المصرية أو حتى العالمية".

بالنسبة لي، أرى عاطف الطيب أفضل منه بمراحل، وأعتبر أن مشاهدة أفلامه وفهمها والتركيز على تفاصيل عمله كمخرج تعتبر دروسًا مجانية لدارسي فن الإخراج السينمائي، وهو ما لم أره حتى الآن في أفلام محمد خان الذي قد اكتشف عبقريته التي يتحدثون عنها في يوم ما.

مسرح مصر

مسرح مصر أم فيلم Godfather؟

قد يبدو السؤال غير منطقي بالنسبة للمهتمين بعالم السينما والذين يعرفون تمامًا قيمة فيلم "الأب الروحي" الذي وصفه متخصصون بأنه عمل فني متكامل توافرت فيه جميع مقومات النجاح التي خلدته في تاريخ السينما وجعلته في مكانة مرموقة رغم مرور أكثر من ٤٥ عامًا على إنتاج جزأيه الأول والثاني، وتقديم أفلامًا متميزة عن عالم العصابات من مخرجين متميزين أمثال مارتن سكورسيزي.

قد يتعامل البعض أيضًا مع السؤال باعتباره مزحة، ولكني أؤكد أنه سؤال يستحق التفكير بعد ما قاله الفنان بيومي فؤاد دفاعًا عن تجربتي "تياترو مصر" و"مسرح مصر".

ظهر الفنان بيومي فؤاد ضيفًا في برنامج "كل يوم" مع الإعلامي وائل الإبراشي على قناة ON الفضائية، في شهر ديسمبر ٢٠١٨، ودافع عن التجربتين المسرحيتين بعد الهجوم عليهما من بعض الفنانين، مثل الفنان محمد صبحي الذي أكد أن ما يقدمه أشرف عبد الباقي وعلي ربيع باسم "مسرح مصر" أو "تياترو مصر"، ليس مسرحًا ولا يصح أن يقال إنه مسرح.

قال بيومي فؤاد دفاعًا عن مسرح مصر: "الولاد بتوع مسرح مصر بيضِّحكوا، مابيقلوش أدبهم، مش مبتذلين، ما بيقلعوش".

وإذا اعتبرنا أن معايير الفنان بيومي فؤاد كافية للحكم على مدى جودة العمل الفني، فإننا سنعتبر أن "مسرح مصر" أهم وأرقى من فيلم Godfather الذي ظهرت في جزئه الأول ممثلة عارية، كما أن علي ربيع أهم من آل باتشينو وروبرت دي نيرو وهو الذي لا يمتلك من الموهبة والحضور ما يؤهله للعمل معهما ككومبارس صامت.

اختزل الفنان بيومي فؤاد معايير الحكم على جودة العمل الفني بالألفاظ الخارجة ومشاهد العري، ونسى أو تناسى قيمة العمل بمختلف عناصره، سواء سيناريو مكتوب بحبكة درامية قوية، أو إخراج أو مونتاج أو موسيقى أو تمثيل. وهي العناصر التي إذا كانت قوية، فإن العمل الفني يخلد في ذاكرة الجمهور، وربما يؤثر في حياته ويغيرها. على عكس "مسرح مصر" الذي لا يعيش مع الجمهور – بحسب ما أكد بيومي فؤاد نفسه.

وإذا افترضنا أن الجانب الأخلاقي هو معيار جودة العمل الفني، فإن الفنان بيومي فؤاد دافع عن السخرية من وزن الممثلة "ويزو" قائلًا: " حتى لما بيهزروا مع ويزو، مقبول عند الناس، بيستنوها ساعات".

أعتقد أنه كان الأسهل على الفنان بيومي فؤاد أن يقول إن تجربة مسرح مصر ما هي إلا "أكل عيش"، بدلًا من أن يطرح معايير لا معنى لها وفي نفس الوقت، يخالف تلك المعايير للتدليل على جودة العمل.

عبلة كامل

أثار خبر اعتزال الفنانة الكبيرة عبلة كامل حالة من الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي، في شهر مايو ٢٠٢٠، وذلك بعدما نشرت بعض المواقع الإخبارية الخبر، في حين نفته مواقع أخرى.
وسواء كان الخبر صحيحًا أو غير صحيح - فبالنسبة لي ولآخرين - فهو خبر غير مهم على الإطلاق، لا لسبب سوى أن الفنانة الكبيرة قد أنهت مسيرتها الفنية مبكرًا بعد أن قدمت أعمالًا فنية أقل بكثير مما انتظره جمهورها الذي انبهر بها في فترة التسعينيات، وبعدما قدمت عددًا من الأعمال المتميزة مثل مسلسل "لن أعيش في جلباب أبي" عام ١٩٩٦، وهوانم جاردن سيتي عام ١٩٩٧ و١٩٩٨، وامرأة من زمن الحب عام ١٩٩٨.

عُرِض مسلسل "لن أعيش في جلباب أبي" لأول مرة عام ١٩٩٦ وما زال محفورًا في ذاكرة الجمهور حتى وقتنا هذا، ورغم أنه من بطولة الفنان الراحل نور الشريف، فإن عبلة كامل استطاعت أن تخطف الأضواء منه كثيرًا بأدائها المبهر لدور الزوجة والأم والذي استطاعت بموهبتها الاستثنائية أن تضيف عليه بُعدًا كوميديًا لم يستطع أحد في المسلسل التفوق عليه، حتى في وجود فتحية (سهير الباروني) التي لم يكن دورها كبيرًا بقدر كافٍ حتى تستطيع أن تنافس فاطمة كشري.

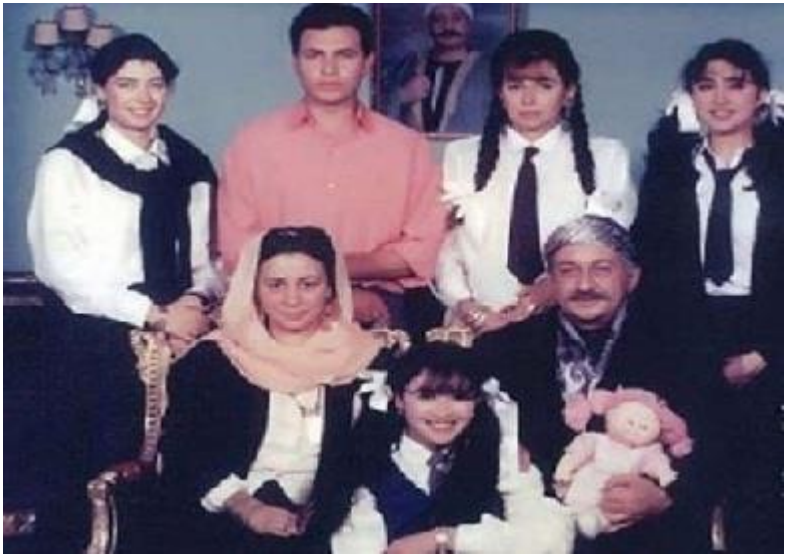

دور فاطمة كشري لم يكن أول أدوار الفنانة الكبيرة عبلة كامل، ولكنه كان علامة فاصلة في مسيرتها، بحيث يمكننا أن نقول عبلة كامل قبل "لن أعيش في جلباب أبي" وعبلة كامل بعد "لن أعيش في جلباب أبي".

بعد النجاح الساحق الذي حققته عبلة كامل في هذا المسلسل وتقديمها لبعض الأدوار المتميزة في تلك الفترة، أصبحت في مكانة متميزة جدًا لدى الجمهور لدرجة ظهور إشاعة تقول إن الفنانة الكبيرة بصدد مشاركة النجمة العالمية "شارون ستون" بطولة فيلم سينمائي تدور أحداثه حول تجارة الآثار وسيتم تصوير بعض مشاهده في مدينة الأقصر المصرية.

وانتظر جمهور الفنانة المبدعة فيلمها العالمي مع شارون ستون إلا أنها فاجأته بتقديم فيلم "اللمبي" عام ٢٠٠٢، وفيلم "كلم ماما" عام

٢٠٠٣، و"خالتي فرنسا" عام ٢٠٠٤، و"سيد العاطفي" عام ٢٠٠٥، و"عودة الندلة" عام ٢٠٠٦، وهي الأفلام التي حمل معظمها توقيع المنتج محمد السبكي.

أفقدت تلك الأفلام النجمة عبلة كامل بريقها، وجعلت عددًا كبيرًا من جمهورها يهجرها، بعدما أحبطته باختياراتها التي لا تليق حتى بممثلة في بداية مشوارها الفني. وذلك رغم أنها قدمت بعض الأفلام والمسلسلات المميزة في الألفية الجديدة، فإن أفلامها مع "السبكي" وضعتها لدى البعض في مرتبة واحدة مع طلعت زكريا ومي عز الدين ومها أحمد ومحمد سعد الذي هجره الجمهور هو الآخر بعدما أصر على الاستمرار في تقديم شخصية "العبيط" في مختلف أفلامه.

لا تنشغلوا بأخبار اعتزال عبلة كامل.. فقط استمتعوا بمشاهدة مسلسل "لن أعيش في جلباب أبي" ولا تحاولوا مشاهدة ما قدمته بعد ذلك، ولا تنتظروا فيلمها مع شارون ستون.

الراقصة والسياسي

يُعرف الفيلم في مصر، غالباً، باسم أبطاله (الممثلين والممثلات)، وأحياناً يهتم الجمهور باسم المخرج، إلا أن هناك عدد من الكُتاب المحظوظين الذين يتذكرهم الجمهور، ومنهم الكاتب الراحل إحسان عبد القدوس الذي يعرف عدد كبير من المشاهدين أنه صاحب قصة فيلم "الراقصة والسياسي".

وعلى الرغم من معرفة الجمهور بإحسان عبد القدوس، إلا أن هناك اعتقاد سائد بأن "الراقصة والسياسي" رواية، ولا يعرف الكثيرون أنها قصة قصيرة. وربما جاء ذلك الاعتقاد لأن الفيلم الطويل غالباً يكون ما يكون مأخوذاً عن رواية وليس قصة.

ومن يشاهد الفيلم، وهو يعرف أنه قصة إحسان عبد القدوس، يعتقد أنه – عبد القدوس - كتب كل الأحداث التي تظهر على الشاشة وجاء السيناريست وحيد حامد وحول تلك الأحداث إلى مشاهد سينمائية وحوار. إلا أن ذلك غير حقيقي.

أحداث القصة تدور في مكان واحد، مقهى يجلس به رجل السياسة وتذهب إليه الراقصة دلال المصرية، التي ظهرت في الفيلم باسم سونيا سليم، لتقنعه بمساعدتها في إنشاء مشروع تجاري.

أخذ وحيد حامد هذا الحوار الركيك، الذي لا يصح حتى أن نسميه قصة، وحوله إلى فيلم روائي طويل له بداية ووسط ونهاية.

يمكن تلخيص قصة إحسان عبد القدوس في المشهد الذي ذهبت فيه سونيا سليم (نبيلة عبيد) إلى عبد الحميد رأفت (صلاح قابيل) في

النادي الذي يمارس به رياضة التنس، لتحاول أن تقنعه بمساعدتها للحصول على تصريح للموافقة على إنشاء دارًا للأيتام. وهو من المشاهد المميزة في الفيلم، حيث حدثت المواجهة بين الراقصة ورجل السياسة، وهي المواجهة الساخنة التي استطاعت الراقصة أن تحسمها لصالحها، بل وتُسقط رجل السياسة بالضربة القاضية.

أما تاريخ الشخصية الذي شاهدناه في الفيلم، والصراع بينها وبين رجل السياسة عبد الحميد رأفت، فهو من إبداع المؤلف الكبير وحيد حامد الذي نجح في تحويل "فسيخ" إحسان عبد القدوس إلى "شربات" من بطولة نبيلة عبيد التي قدمت أجمل أدوارها في الفيلم الذي أخرجه المخرج الراحل سمير سيف عام ١٩٩٠.

ولم يتوقف الأمر على بناء تاريخ شخصية الراقصة، بل إن وحيد حامد جعل الموضوع إنساني أكثر، فالراقصة في الفيلم تريد بناء دار أيتام بعد أن تعرضت لوعكة صحية، فيحدث صدام مع المجتمع الذي يرفضها، لأنها راقصة، حتى وإن كانت تفعل ما تتقرب به إلى الله.

وبعمل مقارنة بين ما كتبه إحسان عبد القدوس على الورق، وما كتبه وحيد حامد لشاشة السينما، نستطيع أن نقول أن السينما قدمت الكثير لإحسان عبدالقدوس الذي لا يصح أن نعتبره أديباً كبيرًا أو مميزًا، خاصًة إذا عقدنا مقارنة بينه وبين الكبار في عالم الأدب كنجيب محفوظ ويوسف إدريس، وحتى توفيق الحكيم الذي لم تكن كتاباته بقوة محفوظ وإدريس ولكنها كانت أرقى كثيرًا من "شخبطة" إحسان عبدالقدوس الذي حقق شهرة لا يستحقها.

أبناء الفنانين

"محمد عادل إمام، أحمد فلوكس، دنيا سمير غانم، إيمي سمير غانم، أحمد الفيشاوي، سارة سلامة، تيام مصطفى قمر، عمرو محمود ياسين، رانيا محمود ياسين، عمر مصطفى متولي، أحمد صلاح السعدني، أميمة طلعت زكريا، رانيا فريد شوقي.. إلخ" القائمة التي تضم أبناء الفنانين الذين ساروا على نفس درب آبائهم أو أمهاتهم طويلة ويصعب حصرها، ولا يهم أيضًا ذكر كل الأسماء، فما ذكرته كافيًا ليوضح لنا أن توريث مهنة الفن في مصر ظاهرة لا يمكن أن ينكرها أحد.

وقد أدت تلك الظاهرة إلى استياء عدد كبير من متابعي الأعمال الفنية من جهة، ودارسي الفن والراغبين في امتهانه من جهة أخرى. وبالطبع، دافع معظم الفنانين عن أبنائهم وأكدوا أنهم لم يساعدوهم في الحصول على أي فرص لدخول الوسط الفني، وهو الكلام الذي قوبِل بالسخرية الشديدة، خصوصًا مع تكراره بنفس الطريقة تقريبًا.

ومن ناحية أخرى، دافع أبناء الفنانين عن أنفسهم بنفس الكلام تقريبًا

وأكدوا أن آباءهم (أو أمهاتهم) كانوا يرفضون عملهم في الوسط الفني وحاربوهم لكي يبعدوهم عن تلك المهنة الشاقة – بحسب وصفهم – وهو الكلام الذي قوبِل بنفس السخرية.

ومن خلال متابعتي لبعض الأعمال الفنية ومشاهدة بعض "فنانين الوراثة"، أستطيع أن أجزم أن بعضهم يتمتع بموهبة فنية استثنائية، مثل دنيا سمير غانم التي أثبتت حضورًا قويًا في عدد من الأدوار والتي تنوعت ما بين الدرامية والكوميدية.

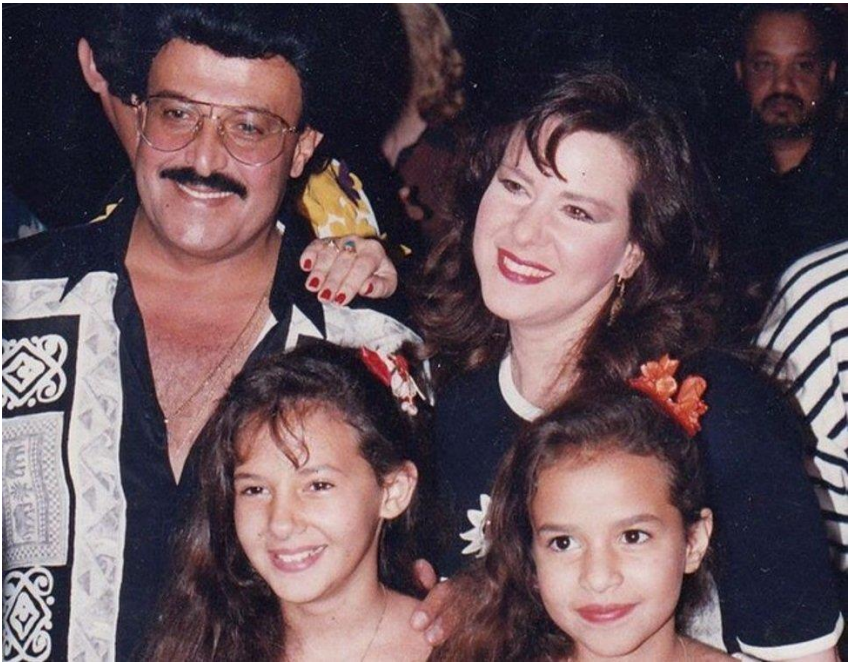

والأمر لا يقتصر على دنيا سمير غانم فقط، فهناك فنانين وراثة جيدين أيضًا. ولنفترض أن جميع الفنانين الذين امتهنوا الفن بالوراثة يتمتعون بالموهبة التي تجعلهم يستحقون أن يحققوا أحلامهم الفنية بسهولة، واعتمادًا على "الواسطة" التي تحكم مختلف الأوساط في مصر.

هنا يجب أن نسأل سؤالًا بسيطًا: أين تكافؤ الفرص؟
الأزمة الحقيقية في الأمر هي غياب تكافؤ الفرص، فبفرض أنهم يمتلكوا الموهبة والحضور فعلًا، فماذا عن آخرين يمتلكوا الموهبة والحضور ولا يستطيعوا أن يجدوا فرصة لهم في الوسط الفني؟! ألا يشعر الفنانون أبناء الفنانين – وهم مرهفي المشاعر كما يقول بعضهم – إن حصولهم على فرص عن طريق الوالدين يُعَد ظلمًا لآخرين؟

وإذا اختل شعورهم عند هذه النقطة، فهل اختلت عقولهم وتوقفت عن العمل أيضًا أم أنهم يدركون جيدًا ولا يهتمون؟!

شريف عرفة

استطاع المخرج الكبير شريف عرفة أن يحقق المعادلة الصعبة في عالم صناعة السينما عن طريق تقديم أفلام تحمل قيمة فنية وفي نفس الوقت، تحقق إيرادات في شباك التذاكر.

حالة النجاح الاستثنائية التي حققها شريف عرفة، لم تتحقق فقط بسبب اختياره لنجوم شباك، لهم جمهور وحققوا نجاحات من قبل، ليكونوا أبطالًا معه، فهو مخرج أثبت أنه يستطيع أن يترجم الكلمات على الورق (السيناريو) إلى صورة سينمائية قوية تتحدث عن نفسها وتوصل للمُشاهد معاني وأحاسيس معينة.

وإذا أردنا توضيح مقدرة شريف عرفة على توصيل المعنى من خلال الصورة السينمائية، التي هي العنصر الأساسي والأهم في الفيلم السينمائي، فلنأخذ مثالًا بسيطًا من أحد أفلامه، وهو فيلم "اضحك الصورة تطلع حلوة" الذي قدمه عام ١٩٩٨ وقام ببطولته الفنان الراحل أحمد زكي مع الفنانة الراحلة سناء جميل.

تدور أحداث الفيلم حول سيد غريب، المصور الفوتوغرافي البسيط، وعلاقته بأمه (سناء جميل) وابنته تهاني (منى زكي) التي تدخل كلية الطب وترتبط عاطفيًا بزميلها الثري طارق عبد الحميد عز الدين (كريم عبد العزيز) الذي ظهر شابًا متفوقًا جادًا في علاقته بزميلته – على غير المعتاد – في حين، يرتبط سيد بنوسة، النشالة التائبة، التي تمتلك كشكًا بسيطًا لبيع الحلويات والمرطبات (الحاجة الساقعة). وتظهر علاقتهم نقية لا مجال فيها للخداع أو الاستغلال وتباركها سناء جميل التي ظهرت في دور الأم المصرية الحقيقية كما هي في معظم البيوت المصرية. في أحد مشاهد الفيلم، نرى أم سيد غريب (سناء جميل) التي ذهبت لتقابل عبد الحميد عز الدين (عزت أبو عوف)، الرجل الثري، في شركته العملاقة وهي السيدة الفقيرة ماديًا.

تظهر أم سيد في بداية المشهد في لقطة بعيدة very long shot ثم ترتفع الكاميرا لأعلى لنراها من زاوية مرتفعة high angle في لقطة أظهرتها ضئيلة لتعكس لنا الفارق الشاسع بين مستواها المادي ومستوى عبد الحميد عز الدين بالغ الثراء الذي تعامل أحد موظفيه معها باحتقار شديد وطردها من الشركة.

موظف الاستقبال: وحضرتك عايزة تقابلي السيد رئيس مجلس الإدارة

في إيه؟

أم سيد: أنا عايزاه في مسألة عائلية

موظف الاستقبال: مسألة عائلية! آه.. لو عائلية يبقى روحي له البيت

أم سيد: أيوة بس أنا..

موظف الاستقبال (مقاطعًا): من فضلك روحي له البيت.

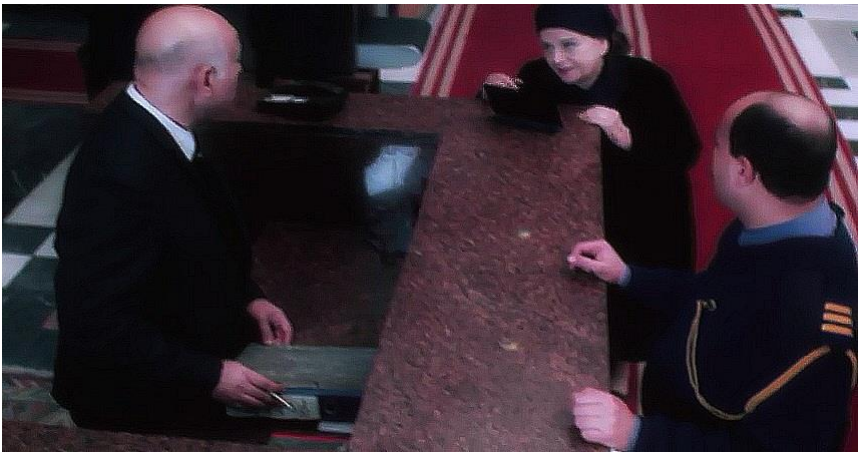

قد لا يعرف المُشاهد العادي أن تصوير الممثل بهذه الطريقة يعطي إيحاءً بضآلته أو ضعفه أو عجزه، ولكنه - المُشاهد - يصل إليه هذا الشعور دون أن يدري، وهذا هو الذي يميز مخرج يفهم ما يفعله عن مخرج آخر لا يحسن استخدام زوايا اللقطات وأحجامها. فيلم "اضحك الصورة تطلع حلوة" لم يحقق نجاحًا كبيرًا في شباك التذاكر، ربما بسبب ظروف التوزيع، ولكنه من الأفلام المهمة في تاريخ شريف عرفة، والذي أعيد اكتشافه بعد سنوات من عرضه، واعتبره الكثيرون من الأفلام المميزة في تاريخ صناعه، سواء المخرج شريف عرفة أو السيناريست وحيد حامد أو النجم الراحل أحمد زكي أو الفنانة ليلى علوي.

أحمد زكي ومحمد رمضان

حكايات كثيرة تتداولها صفحات موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) لتبرهن لنا على عبقرية الفنان الراحل أحمد زكي وقدرته على تقمص الشخصيات التي قدمها في أفلامه السينمائية، مثل تلك الحكاية عن فيلم (البيه البواب) عندما جلس الفنان الراحل يحتسي كوبًا من الشاي ويدخن سيجارة، أمام عمارة سكنية مقابلة للعمارة التي يصوروا بها الفيلم، انتظارًا لطاقم العمل حتى يقوموا بالتحضير لتصوير إحدى لقطات الفيلم. وجاء أحد ساكني العمارة، الذي كان مسافرًا

بسيارته مدة أسبوع تقريبًا، وعندما رأى أحمد زكي، اعتقد أنه بواب العمارة الجديد، وقال: هما كل شوية يجيبوا بواب جديد؟!

بالطبع، تنشر صفحات الفيسبوك هذه الحكاية وغيرها؛ لتُظهر لنا كم كان الفنان الراحل يتقمص أدواره لدرجة أن من يراه أثناء تصوير دوره في فيلم (البيه البواب) لا يعرفه ويعتقد أنه بواب حقيقي وليس ممثلًا يؤدي دور بواب.

وكلما قرأت حكاية من تلك الحكايات، تذكرت الممثل محمد رمضان، عندما يظهر في البرامج التليفزيونية ويحدثنا عن فن التمثيل ويعطي لنا دروسًا مجانية عن كيفية تقديم الأدوار المختلفة والتحضير لها والاهتمام بكافة تفاصيل الشخصية وأبعادها النفسية بكافة تعقيداتها، وهو بالطبع ما لا نراه في أدواره التي يتحدث فيها جميعًا بنفس الطريقة.

كنت دائمًا أتساءل عن السبب الذي يجعل ممثلًا يظهر في برنامج ويسترسل في أحاديثه عن تفاصيل الشخصية وكيف يستطيع الممثل "الموهوب" أن يُفَرِّق بين كل شخصية وأخرى لكي يكون مقنعًا وحقيقيًا. ولم أجد سوى (الثقة بالنفس).

أعتقد أن الفنان محمد رمضان يفتقد للثقة بالنفس ويستكثر على نفسه النجاح الذي وصل إليه في سن صغيرة، ويشعر أن المحيطين به غير مقتنعين هم أيضًا بأنه يستحق تلك الضجة الحادثة حوله، فيحاول أن يقول لهم، بطريقة غير مباشرة، إنه ممثل موهوب جدًا، فيعطي لهم دروسًا مجانية في التمثيل.

الأمر عند "رمضان" غير مُقتَصِر على دروس التمثيل فقط، بل تعداه إلى ادعاء الثقافة ومحاولة الزج باسم أي مفكر أو فيلسوف في حواراته

التليفزيونية والاستعانة بمقولة مشهورة له، حتى يبدو مثقفًا ويُغَيِّر فكرة الناس عنه.

ادعاء المعرفة والثقافة وضع الفنان محمد رمضان في أكثر من موقف مُحرِج، وجعله أضحوكة (السوشيال ميديا)، خاصةً عندما ظهر مع الإعلامي أسامة كمال على قناة dmc الفضائية، وتحدث عن نظرية الزيت والبنزين في السيارة، ونظرية العنصر الثابت والعنصر المتحرك، وهي النظريات "الخزعبلية" التي عجزنا جميعًا عن فَهمها.

في الحقيقة، لم أشاهد الفنان أحمد زكي كثيرًا في برامج تليفزيونية، لا لشيء سوى أنه لم يظهر كثيرًا، فقد كان مشغولًا – كما يبدو – بالبحث عن أدوار جديدة يقدمها، وهي الأدوار التي كانت تأخذ وقته وترهق أعصابه؛ لتخرج لنا بالشكل الذي شاهدناه كثيرًا وانبهرنا به.

مَن منا يستطيع أن ينسى زينهم جاد الحق بإجرامه وجبروته في فيلم (الإمبراطور)، أو زكي الحمصاني بخفة دمه وطيبته التي تصل لحد السذاجة في فيلم (ولاد الإيه)، ودوره في (البيه البواب) ودوره في (الحب فوق هضبة الهرم) ودوره في (البريء) وغيرها من الأدوار التي أتحفنا بها وأقنعنا بأدائه دون أن يحدثنا عن كيفية تقديمها والتحضير لها.

في الحقيقة، نحن لسنا بحاجة إلى مَن يحدثنا عن عبقرية أحمد زكي، يكفينا أن نشاهد أفلامه الخالدة ونستمتع بها، وسنعرف ونتأكد بمنتهى السهولة أنه كان ممثلًا عبقريًا.

فلنشاهد في صمت ونستمتع بأداء الإمبراطور، ولنترك الحديث لمن هُم مثل محمد رمضان.

الباشا

يبدو الأمر غاية في الصعوبة، عندما نفكر في أن ممثلًا يستطيع أن ينافس الفنان الراحل أحمد زكي. فما بالك عندما يتفوق عليه ممثل آخر وهو المعروف بعبقريته وقدرته الفائقة على تقمص الشخصيات التي يؤديها!

هل يمكن أن يتفوق ممثل على أحمد زكي؟!

«مستحيل»

هذه هي الإجابة المتوقعة ممن يوجه له هذا السؤال، وهي الإجابة التي يحتاج صاحبها إلى مشاهدة فيلم (الباشا) ويتابع أداء محمود حميدة لشخصية (جو)، القواد وصاحب الكباريه، الذي يطارده حازم الشناوي (أحمد زكي) ويحاول الإيقاع به وهو الواثق تمام الثقة من أنه يعمل قوادًا، ولكنه لا يستطيع أن يثبت عليه التهمة.

تميزت الشخصية التي قدمها محمود حميدة بالثبات الشديد، حتى في أحلك المواقف، عندما تم إلقاء القبض عليه وخضع للتحقيق. بل

وعندما اعتدى عليه الضابط حازم الشناوي بالضرب في نهاية الفيلم. في حين، اتسم أداء أحمد زكي بالانفعال الشديد الذي أوحى بضعفه وقلة حيلته أمام (جو) الذي اكتسب مصدر قوته من شخصيته الهادئة لدرجة البرود، وذكاءه الذي مكنه من تكوين ثروة طائلة وشبكة قوية من العلاقات بعد أن عاد من الخارج خال الوفاض كما قالت سارة (منى عبد الغني) لحازم.

ورغم قوة شخصية (جو) فإنه اتسم بالمرح، فظهر في بعض المشاهد وهو يرقص ويعزف الموسيقى. وهو التناقض الذي استطاع أن يقدمه "حميدة" باحترافية شديدة وهو الذي كان يعمل راقصًا في شبابه. فظهر أكثر جاذبية من الضابط حازم الذي كان واضحًا للجميع أن كل مؤهلاته في الحياة هي كون والده ضابط شرطة سهّل عليه الالتحاق بكلية الشرطة؛ ليصبح ضابطًا مثله ويكتسب قوته من وظيفته مع قدر لا بأس به من القوة البدنية.

التناقض الكبير بين شخصية حازم وشخصية (جو) ظهر بوضوح في مشاهد المواجهة بينهما والتي كان أولها، عندما طلب (جو) من أحد العاملين بالكباريه أن يطلب من حازم الحضور لمقابلته في مكتبه بالكباريه. ودار بينهما الحوار التالي:

جو: عرفت الجمارك كلفتني كام؟ ٥٥ ألف جنيه.. يعني لو ماكنتش اتسرعت كان نابك منهم حاجة.

حازم: كام؟

جو: ١٠٪ من كل شغل أعمله بعد كده.

حازم: كده بقوا قضيتين يا يوسف.. رشوة.. ودعارة.

جو: شوف يا حازم.. إنت مش هتقدر تعمل أي حاجة.. ما تضطرنيش آذيك.. كل اللي هتعمله إنك هتضيع على نفسك كام ألف كان ممكن تعمل بيهم حاجة.. بدل ما تأجر شقتك مفروش.

حازم: بس أنا أخلاقي ما تسمحليش آخد رشوة.. خصوصًا إنها فلوس جاية من عرق نسوان.

جو: أومال مين اللي بيصرف على ابن حضرتك؟! مش الهانم برضه!!

نجح سامح الباجوري، مؤلف الفيلم، في رسم شخصية (جو) على الورق بشكل جعله منافسًا قويًا لحازم، وهو الرسم الذي حوله محمود حميدة بقدراته الفنية المتميزة لشخصية مثيرة للإعجاب على الشاشة، رغم المهنة الحقيرة التي يمتهنها.

أدى محمود حميدة مشاهده برشاقة، فاستطاع أن يخطف الكاميرا من النجم الكبير أحمد زكي المعروف بحضوره القوي والذي يصعب على أي ممثل الظهور معه في كادر واحد ومنافسته.

سر الجاذبية في شخصية (جو) لا يرجع فقط للنص الذي كتبه سامح الباجوري وأشرف عليه المخرج طارق العريان، بل لأداء النجم الكبير محمود حميدة الذي يتمتع – كما ذكرت – بموهبة استثنائية وثقافة واسعة جعلته يتقن الدور وينافس النجم الكبير أحمد زكي ويتفوق عليه في بعض المشاهد.

همام في أمستردام

"رأس السهم الذي عبر ومن بعده عبر جيل كامل".. هكذا وصف الفنان أحمد السقا زميله الكوميديان الكبير محمد هنيدي الذي استطاع أن يحدث انقلاباً في عالم السينما في مصر وبعدما كانت أوشكت على الانهيار بتقديمها لعدد قليل جداً من الأفلام وبمستوى ضعيف جداً.

نجاح محمد هنيدي في فيلم "صعيدي في الجامعة الأمريكية" عام ١٩٩٨، سبقه نجاحه الكبير في فيلم "إسماعيلية رايح جاي" عام ١٩٩٧، والذي لعب بطولته الفنان محمد فؤاد الذي كان يتمتع بشعبية جارفة، في ذلك الوقت، كمطرب وليس كممثل، ولكن تصدره لبطولة الفيلم جعل الجمهور يقبل عليه ليفاجأ بكوميديا محمد هنيدي التي كان لها الدور الأكبر في نجاح الفيلم، وهو ما شجع المنتج محمد العدل على إنتاج فيلم يحمل اسم محمد هنيدي.

النجاح الساحق الذي حققه محمد هنيدي بفيلم "صعيدي في الجامعة الأمريكية" قلب موازين السينما وجعل المنتجون يفكرون في إعطاء الفرصة لجيل جديد من الممثلين، فظهر أحمد السقا وهاني رمزي وعلاء ولي الدين، وغيرهم من الممثلين الذين كان أقصى طموحهم – كما أعتقد – أن يأخذوا دورًا كبيرًا في فيلم من بطولة نجوم ذلك الوقت وعلى رأسهم عادل إمام الذي تعرض لهزة عنيفة من نجاح "هنيدي".

وعلى الرغم من النجاح الساحق لهنيدي، وعلى الرغم من استحقاقه لهذا النجاح، إلا أن حالة النجاح الصاخبة التي بدأها بفيلم "صعيدي في الجامعة الأمريكية" واستمرت معه لبضع سنوات لم تستمر حتى الآن،

خصوصًا بعد السقوط المدوي لفيلمه "عنتر ابن ابن ابن شداد" الذي قدمه عام ٢٠١٧.

وبالعودة للوراء قليلًا سنكتشف أن رحلة سقوط هنيدي بدأت مبكرًا، وبالتحديد مع فيلمه الثاني "همام في أمستردام" الذي قدمه عام ١٩٩٩ والذي حقق إيرادات كبيرة جدًا، ليس بسبب أنه فيلم جيد، ولكن بسبب نجاح "صعيدي في الجامعة الأمريكية".

فالفيلم كان ضعيفًا على كافة المستويات وأولها وأهمها السيناريو الذي كتبه مدحت العدل في فترة زمنية وجيزة – بحسب تصريحات "هنيدي" - .

سيناريو الفيلم يفتقر للكوميديا وهو ما يجعله يصنف كفيلم "لايت كوميدي" وليس كوميدي، والأمر لا يقتصر على ذلك فقط بل افتقر أيضًا للموضوع والحبكة. فالقصة لا يوجد بها جديد، شاب مصري فقير يسافر للخارج ويحقق نجاحاً كبيراً بعد سلسلة من الإخفاقات و.. لا جديد.

في اعتقادي أن ضعف السيناريو يرجع في المقام الأول للطريقة التي بدأ بها كاتبه العمل، فالفنان محمد هنيدي قال في أحد لقاءاته التليفزيونية إن الفكرة بدأت باقتراح بتقديم فيلم تدور أحداثه خارج مصر تبعه باقتراح آخر لهولندا وبدأ السيناريست مدحت العدل في الكتابة بناءًا على الاقتراحين.

في اعتقادي أن تلك الطريقة خاطئة تمامًا، فنحن لا نسافر لنصور فيلمًا في الخارج إلا إذا تطلب السيناريو المكتوب ذلك، أما أن نعكس الآية، فنقرر السفر ثم نكتب سيناريو ليمكننا من السفر، فكأننا نضع العربة أمام الحصان.

يجب أن أعترف أن محمد هنيدي هو أكثر فنان يضحكني، ولكنني لا أضحك دائمًا بنفس القدر، وذلك بسبب ضعف السيناريوهات التي يقدمها. وهي أزمة "هنيدي" الحقيقية، وأزمة السينما المصرية منذ قديم الأزل.

للتواصل مع الكاتب عبر الايميل التالي:
mohamedsharif1987000@gmail.com

الفهرس

أحمد زكي وعادل إمام ٥
حملة فرعون ٩
الكوميديا في زمن "السوشيال ميديا" ١٣
محمود حميدة ١٦
اضحك الصورة تطلع حلوة ١٩
سونيا ٢٣
THE REVENANT ٢٥
يوسف شاهين ٢٩
بوشكاش ٣٤
إبراهيم نصر ٣٧
بداية ونهاية ٤٠
خالد النبوي ٤٤
إعدام ميت ٤٩
يوسف الشريف ٥١
العار ٥٤
رأفت الهجان ٥٦
Inglorious Basterds ٦١
في بيتنا رجل ٦٤
عاطف الطيب ٦٧
عن العشق والهوى ٧١
محمد خان ٧٣
مسرح مصر ٧٧
عبلة كامل ٨٠
الراقصة والسياسي ٨٣
أبناء الفنانين ٨٦
شريف عرفة ٨٩
أحمد زكي ومحمد رمضان ٩٢
الباشا ٩٦
همام في أمستردام ١٠٠
الفهرس ١٠٤